

علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في القرنين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م.

دراسة ووثائق (رسائل ومعااهدات) وتعاليق وتحاليل

الأستاذ عمر سعيدان



منشورات سعيدان

سوسة - الجمهورية التونسية

نوفمبر 2002

7466
22
403
10



علاقات إسبانيا القطلانيّة بتلمسان في
الثلاثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م.

علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في القرنين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م.

دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعليق وتحليل

الأستاذ

عمر سعيدان

منشورات سعيدان

موسم - الجمهورية التونسية

الطبعة الأولى: نوفمبر 2002

منشورات سعيدان

موسم - الجمهورية التونسية.

نوفمبر 2002

القسم الأول

دراسة تاريخية

**علاقات إسبانيا القطلانية بتكمسان في الثلثين الأول
والثاني من القرن الرابع عشر (م)**

علاقت إسبانيا القطلانية بتلمسان في ق 14 م

1 - توطئة عامة

عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية الإسبانية من أوائل القرن الثامن ميلاديا إلى أواخر القرن الخامس عشر حضارتين مختلفتين متقابلتين ومتنافستين، الحضارة الإسلامية المتطورة والزاحفة منذ 711م وفتح جبل طارق والأندلس في عهد الوالي الأموي بإفريقية موسى بن نصير والحضارة الغربية المسيحية المنغلقة والمدافعة والمتربصة والتي استطاعت استرجاع إسبانيا والقضاء نهائيا على آخر دولة إسلامية بها: دولة بني الأحمر بغرناطة.

والواقع أن هذه القرون الثمانية من الحضارة الإسلامية بإسبانيا كانت كافية لخلق فكر مسيحي غربي جديد وثقافة عقلية نامية وقوة عسكرية مشحونة بالتعصب وحب الانتقام. فالفكر التنويري الإسلامي لم يكن كافيا لخلق جو من التعايش والتسامح بين المنطقتين والحضارتين فكانت الحروب والغزوات

والحملات الصليبية الدائمة والتعرّف على الفكر الإسلامي والنهضة الاقتصادية والتجارية وأسبابها ببلاد الإسلام والتخطيط للقضاء عليها وابتزازها والاستحواذ على وسائلها. ولئن كانت المناورات والخطط والتحالفات النصرانية العدوانية لم تفتأ قائمة ولم تهدأ منذ أوائل القرن الحادي عشر في الأندلس وبلاد المغرب فإن العد التنازلي وبداية النهاية للإسلام بإسبانيا والأندلس بدأ مع واقعة زلاقة سنة 1212م بانهزام المسلمين بزعامة الخليفة الموحي المأمون فيها.

فهذا الصراع الدائم بين الحضارتين وبين البلدين بلاد الإسلام بإفريقية والمغربين الأوسط والأقصى والبلاد المسيحية بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بقطانيا وإسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا طبع الحياة السياسية والاقتصادية في البلدين وعلاقت القطلانيتين: أراغون وقطانيا الفرنسية وصقلية وجزر ميورقة ومينورقة وسردانيا بدول المغرب ولا سيما المغرب الأوسط بتلمسان.

2 - إفريقية والمغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية الإسبانية

يقع الاثنان في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ولا يُعتبر جغرافيًا كلُّ منهما امتدادًا للآخر وإن كان شبه الجزيرة المغاربية يُفْضِي إلى أعماق إفريقية وأدغالها فسكانه البرابرة يختلفون اتّنيًا وبشريًا وأصلاً عن الأفارقة السود المعروفين بأهل مَالِي والسودان الذين دخلوا هم أيضًا في الإسلام وغزتهم الحضارة الإسلامية عن طريق قوافل التّجارة والمُرحّلين والمسافرين بحثًا عن الملح والذهب عبر الصحراء ونهر النّيجر والنّيل من الحبشة والسودان. ويُفْضِي شبه الجزيرة الإيبيرية إلى جبال أراغوان والبيرييني بقطلانیا وبلاد الغال⁽¹⁾ والفيزيغوث⁽²⁾ Gaulle - Visigoths.

ورغم التّكامل الجغرافي والتّعايش مع حضارات

(1) Gaulle : فرنسا الحابّة.

(2) Visigoth : سكان فرنسا وحكّامها القدامى.

مشتركة - كانت لها أبعد الأثر على تكوينهم وسلوكهم ومستقبلهم: حضارة قرطاج ثم رومة وحضارة الإسلام - لم يكن للمنطقتين شبه الجزيرة المغاربية وشبه الجزيرة الإيبيرية الإسبانية مِرَاسٌ واحد ومصير واحد بل ظلّ التنافس والتّصادم الثّرس يحركهما طيلة القرون الوسطى ولا سيّما القرن الرّابع عشر الذي نحن بدراسة أحداثه.

والوثائق التّاريخية والمعاهدات الصّلحيّة التي احتفظ لنا بها الأرشيف الأراغونيّ تشير إلى كُنْه هذه العلاقة: التّصادم الدّائم سياسيًا والابتزاز تجاريًا واقتصاديًا، فكانت الخطّة السّياسيّة الدّائمة منذ ظهور أوّل مملكة مسيحيّة في إسبانيا في القرن الحادي عشر تتمثّل سياسيًا في استرجاع إسبانيا للأندلس والاستيلاء على كلّ الممالك الإسلاميّة تدريجيًا وتجاريًا في بسط نفوذها الامبرياليّ وابتزاز تجارتها ومداخلها الماليّة والسّيطرة على الطّرق التي كانت الدّول الإسلاميّة تتحكّم فيها

للوصول إلى تجارة الذهب المزدهرة بِتُخُوم مملكة تلمسان
من بلاد مَالِي والسُّودَانِ وابتزازها.

وبالنسبة لتلمسان البعيدة خمسين ميلا عن الساحل
والمعتبرة أكثر عمقا في إفريقيا وأشدّ اتّصالا بها من
المغرب الأقصى أو إفريقية كانت هذه التجارة الهامة
لاحقا أي تجارة الذهب ومقايضته بمختلف السلع من
الأسباب الأساسية الاقتصادية التي دفعت ملوك
قطانها وأراغون إلى الاهتمام بها والسيطرة عليها بداية
من الولاية الهامة القريبة من إفريقيا السوداء ومن عبور
الذهب بها أكثر من غيرها من الأقاليم والممالك: ولاية
سجلماسة التي تعاقب عليها لاحقا المرينيّون
والحفصيّون وبنو عبد الواد وأصبحت قطبا أساسيا في
المملكة الزّينائية مملكة بني عبد الواد بتلمسان.

هذا هو الإطار العامّ الذي تُسجّنت فيه خيوط
السّياسة الأراغونية القطلانية التلمسانية وأقيمت فيه
علاقات قوّة أروبية غربيّة ناشئة على غرب البحر

الأبيض المتوسط ودولة ناشئة طموحة بالمغرب الأوسط
بتلمسان في القرنين الثّالث عشر والرّابع عشر والتي
كانت تستمدّ صلابتها وشموخها من عِنايَةِ قبائل زنّانة
بالمغرب ومن أحد بطونها بني زِيَّان وعبد الواد، فقبايل
زنّانة أعطت كامل المغرب الأقصى والأوسط والأدنى
أقوى دولها وأعظمها: المرابطيّة والموحديّة من فرع
هنتاتة الزّناتائي: الدّولة الحفصيّة والدّولة المرينيّة
والدّويلات الأخرى من بني غانية بقفصة وقابس
وسجلماسة وميورقة وبني رُسْتَم الخوارج بتاهرت.
فالعصبية الزّناتية كانت قوّة متينة على أساسها قامت
عديداً الدّول بالمغرب وسقطت دول أخرى مثل المرابطيّة
والموحديّة.

3 - المملكة المسيحية الأولى الناشئة في إسبانيا

تكوّنت في أواسط القرن الثامن ميلادياً خليّةٌ لمملكة مسيحية إسبانية صغيرة هي مملكة "أستوري" من منطقة جبلية كان يلتجئ إليها بعض الأهالي من الإيبيريين وبعض الأشراف من "الفيزيغوت" عائلة الأمراء القدامى بجنوب فرنسا وإسبانيا المتحصنين هنالك من الغزاة الجدد. وبدأت هذه الخليّة المسيحية تنمو شيئاً فشيئاً مفصولة عن العالم العربي الإسلامي بإسبانيا بمنطقة صحراوية هي "أرض لا تُنبِت شيئاً". وهكذا وجدت نقطة سوداء داخل الاتحاد الإيبيري المغربي وتغلّب العامل الديني على العامل الحضاري والاثني البشري بين إيبيريا والجزيرة المغربية فنشأت من ذلك التّجمع الصّغير "الأستوري" مملكة مسيحية دفعها التّعصب الديني والانغلاق الحضاري إلى التّنامي والعمل على الوقوف في وجه المجتمع العربي الأندلسي. وفي القرن الثّالث عشر تنامت الممالك النّصرانية

وتوحّدت في وجه البلاد الإسلامية وأصبحنا نشهد عالمين متقابلين: العالم العربي الإسلامي بالأندلس وشبه الجزيرة المغربية من جهة والعالم الغربي: قطلانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا من جهة أخرى.

4 - استعادة إسبانيا الإسلامية والاستيلاء على ممالكها: La Reconquista

قبل أن تتشكل الوحدة الإسبانية شهدنا نشأة مجموعة من الدّول المسيحية، ثلاث منها بالبلاد الإسبانية كانت لها مطامع في إفريقية وشبه الجزيرة المغربية كاملة: أراغون، قشتالة والبرتغال.

منذ القرن الثالث عشر اهتمت قشتالة بالمغرب الأقصى وصارت ترنو إليه واتخذت لها أنشطة به منذ عهد هنري الأول (1214-1217م) ودوير نجار (1217-1228م) أبناء ألفونس الثامن العظيم (1158-1214م) أحد المنتصرين في معركة زلاقة وآيام حفيده سان فردينان III (1226-1252م). ولقد عمدت قشتالة إلى تعيين حرس مرتزقة بجيش الخليفة الموحدّي وبلاطه وهو في حالة انهيار وضعف في عهد الضعف الموحدّي⁽¹⁾.

(1) في عهد الخليفة الموحدّي المأمون.

ولقد بدأ الآباء الفرنسيكيون والدومينيكان يحرصون على التواجد بالمغرب واستطاعوا حين رغب الخليفة الموحدّي المأمون في الحصول على حرس مسيحيّ بجيشه وبلاطه اشتراط تأسيس كنيسة بمراكش تابعة لطليطلة بها جماعة من الرهبان والآباء. وكانت أول كنيسة بالجزيرة المغربية الإسلامية.

ثم أعد ابنه ألفونس العاشر العالم (1252-1284م) منذ السنوات العشر الأولى من حكمه خطة لإرسال حملة صليبية ضد المغرب بالتعاون مع البابا، لكن لم يُفلح واكتفى بعرض حماية وقتية على طانجة أو "طاويت" المرسى الصغير على المحيط. فحاول احتلال "سلا" و"أرزيفلا" وخاصة "سبتة" التي اعتبرها البابا نيابة رهبانية évêché. غير أن هذه الطمّوحات والأحلام لم تتحقّق ووجدت في مملكة غرناطة عائقا كبيرا لها عملت قشتالة على إخضاعها والسيطرة عليها شيئا فشيئا بإضعاف الدّول الإسلامية المجاورة وبالحصول على

امتيازات بها سواء بالمغرب الأقصى أو بتلمسان التي ستكون خاصة من مشمولات أراغون نهائياً.

- المملكة الثانية التي نشأت بعد احتلال لشبونة والتي أصبحت قوة على المحيط بين قشتالة والمحيط الأطلسي والتي التفتت إلى المحيط وتكونت لها اهتمامات أخرى، ولتن رنت كذلك إلى سبته وحاولت الاستيلاء عليها في القرن الثالث عشر وهي مملكة البرتغال.

- أما المملكة الثالثة فهي مملكة أراغون القوة المتوسّطة القطلانية الناشئة ذات الطموح اللامتناهي الديني والسياسي والتجاري. كانت هذه المملكة المتكونة من منطقة أراغون الجبلية الوعرة المتخذة برشلونة ذات الأصل الفينيقي المطلّة على البحر الأبيض المتوسط عاصمة لها، تنظر من ناحية إلى البحر محاولة التوسّع والسيطرة عليه وإلى الجنوب إلى بلنسية وما وراءها، ومن ناحية الساحل المتوسطي للجزيرة المغاربية لا سيما

الجزر الواقعة بينها وبين الساحل الإيبيري، وإلى إفريقية والمغرب الأوسط لتلمسان.

وكانت ترى في السيطرة على جزر البحر الأبيض المتوسط بالحوض الغربي الوسيلة الأساسية والخطوة الأولى للسيطرة على البحر والتحكّم في أنشطته. ولذلك سارعت بوضع يدها على جزر ميورقة وطرند بني غانية منها سنة 1230م، واحتلال صقلية سنة 1282م، والقضاء على الحكم الإسلامي بها، ثم احتلال جزيرة سردينيا سنة 1297م.

وهكذا بدأ المد الصليبي وإعادة الاحتلال للمناطق الإسلامية ببلاد المغرب. ثم واصل أراغون مدّه بالسيطرة على مدن أندلسية هامة: بلنسية سنة 1238م ومرسية سنة 1296م وزحفه على المريّة سنة 1309م وباسترجاعه لصقلية وخلافته لروجي الثاني النورمندي الذي حمل في أواسط القرن الثاني عشر لقب "ملك إفريقية". وبينما كان يحكم صقلية صار يعتبر نفسه مؤهلاً لوضع يده

على إفريقية كاملة والاستيلاء عليها.

وياحتلال ملك أراغون لجزر البليار: ميورقة ومينورقة فبلنسية استطاع التحكّم في هذه الطريق البحرية كما يسمّيها "بُرودال"⁽¹⁾ في دراسته الهامة: "البحر الأبيض المتوسط" الواقعة غرب بلنسية — الجزائر. وهذا الشارع المائي الذي لا تتجاوز سعته 15 كلم من جهة مليلة والمرية و25 كلم من الجزائر إلى ميورقة. أو الممر المائي البحري الهامّ يشكّل في الواقع قناة مائية حيوية أساسية لكلّ دولة تعتبر نفسها قوة بحرية مثل أراغون وإسبانيا المسيحية إجمالاً، وكذلك للمغرب الأقصى الذي لا يزال يُشكّل قوة خاصة مع المرينيين بعد سقوط الدولة الموحدية ومن قبلها المرابطية. والحرص على السيطرة على هذه القناة المائية البحرية "قناة الأندلس" كما يسمّيها دوفرك (ص 26) سيكون

مُعطى أساسيًا في السياسة الإسبانية المسيحية والاستراتيجية العملية للسياسة القطلانية وفي المواجهة المتواصلة بين العالمين العالم الغربي الإسباني المسيحيّ المتشكّل شيئاً فشيئاً والعالم الإسلامي الغربي الأندلسيّ المغربيّ.

إنّ التّاج الأراغونيّ لتحقيق غرضه هذا - المتمثّل في السيطرة على هذا الممرّ المائيّ الهامّ والتّوسّع في الفضاء الإفريقيّ المتوسّطيّ المغربيّ وتحقيق مطامع الكنيسة في طرد الإسلام واسترجاعها لهذه القاعدة الهامة والحاقها بإحدى مناطق نفوذها بشبه الجزيرة المغربية وإفريقية بالذّات - توخّى سياسة مرنة كانت تعتمد الحرب والسّلم، القطع والتّجارة والتّغلغل التّدرجيّ معها في شؤون الممالك المغربية.

وتضاعفت هذه الرّغبة مع المغرب الأوسط بتلمسان، هذه المملكة المُفضية إلى إفريقيا والسّودان وإلى بلاد مالي وطريق الذهب الذي كانوا اكتشفوه في القرن الثالث عشر

(1) Braudel: La méditerranée. p. 85

عن طريق التبادل التجاري أو المقايضة المارة بسجلماصة عاصمة "تغيلالت" و"مينام" الطريق المؤدية إلى الثروة وإلى هذه الغيرة الصغراء الغير متوقرة بإسبانيا وأروبا بصفة عامة.

هذا هو الإطار الذي يندرج فيه هذا البحث وتؤسس له الوثائق الأصلية الهامة التي يحتفظ بها الأرشيف الأراغوني ببرشلونة عن علاقات التاج الأراغوني مع تلمسان مملكة بني عبد الواد من بني زيان من قبيلة زناتة الكبيرة.

5 - نشأة دولة بني عبد الواد بتلمسان

رأينا أنه بعد معركة زلاقة تراجع النفوذ الموحدوي وتأكل في كل مناطق الغرب الإسلامي بالمغربيين الأوسط والأقصى وبإفريقية. ولقد كان آنذاك يمثل بنو عبد الواد المجموعة القبلية القوية من زناتة الشائرين دوما والمستعدين للفتنة والقتال. ولقد كان الخلفاء الموحدون في آخر أيامهم يقطعونهم خراج بعض المناطق حول تلمسان أو سجلماصة و"تغيلالت". وسرعان ما أصبحوا يُكونون قوة هامة وإمارة ناشئة في غرب الدولة الحفصية حتى المنطقة الشرقية من المغرب قريبا من "وجدة". وتكونت شيئا فشيئا إمارة زيانية تدين بالدعوة الحفصية وتحت سلطتها التي لم تكن فعلية بل روحية وذلك مع يغمراسن بن زيان في سنة (1235 - 1231م) المؤسس الفعلي للإمارة والذي كان أولا مغرّضا من قبل بني عبد المؤمن والخليفة الموحدى إلى سنة 1239م. ثم خضع للسلطة الحفصية ودعوتها سنة 1242م في عهد

أبي زكرياء الحفصيّ المستقلّ عن بني عبد المؤمن والخليفة المأمون منذ سنة 1241م بعد هزيمة زلاقة وسَاجِه ببناء كنيسة بمراكش. وبقي الأمير الزيانيّ إلى سنة 1270م تحت الحماية الحفصيّة وإن بدأ منذ سنة 1248 مستقلّ عن الحفصيّين ويتصرّف تصرّف الملك المستقلّ مستغلاً ظهور المرينيّين ومحاولة التحالف معهم ضدّ الحفصيّين لكن بدون جدوى، للعلاقة الوطيدة بين الدولتين الحفصيّة والمرينيّة، ثمّ ساعيا إلى استغلال مناورات ملك أراغون وخططه للتحالف.

واعتبر التّاج الأراغونيّ هذه المملكة الناشئة أكثر أهميّة وفائدة مبدئيّا بالنسبة للقطلاتيّين لموقعها بين المغرب الأقصى وإفريقيا ولارتباطها بإفريقيا الحقيقيّة التي كانوا يجهلونها. فاهتمامهم القديم كان مقتصرًا على إفريقيّة وعلى المغرب الأقصى وسواحلّه. لذلك كانوا يبعثون بأُميرالات البحر فالسّفراء وقادة للحرس السّلطانيّ بإفريقيّة والمغرب الأقصى، ولم يهتمّوا بتاتا

بهذا المغرب الأوسط أو بمُدنه ويمراسيه : وهران-شرشل - أو بتلمسان البعيدة حواليّ خمسين ميلا عن السّاحل والمهيمنة على الفضاء القارّيّ الإفريقيّ أكثر من غيرها من مدن المغرب وإن كان نصارى جنوة وبيزا ومرسيليا ينزلون بوهران ويحاولون الاتّجار بها، وكان أوّل من أحدث هذا المرسى وهران وجعله مرتبطا بالأندلس بعض البحّارة والتّجار الأندلسيّون الذين كانوا يرغبون في الوصول إلى تلمسان المركز الرّئيسيّ لدولة خارجيّة ناشئة في القرن العاشر، المتحرّر عن دولة بني رستم بتاهرت.

ولئن اعتاد الأندلسيّون ونصارى جنوب إيطاليا التّردّد على وهران والاتّصال عبرها بتلمسان فالقطلاتيّون لم يُولوها اهتماما إلّا في بداية القرن الثالث عشر بعد تشكّل دولة بني عبد الواد. واتّخاذها صورة مملكة حقيقيّة. و"ماس لاثري" في دراسته "معاهدات Traité" (ص 89) يذكر أنّ البرشلونيين بدؤوا يتاجرون مع وهران قبل سنة 1232م، والسّلطنة عبد الواد لم تتخذ

بعدُ شكل الدولة، أما المراسي والمدن الساحلية بين الجزائر ومولوية غرب وهران، إلى جانب مرسى الجزيرة الصغيرة رشقون، مرسى حُنين الهام وتاؤنت شرق وهران ومرسى موزغران ومستغانم وتاناس وبرشك وشرشل، فكانت قد عرفت التجارة القطلانية مثل مراسي إفريقية. وكانت توجد بها إدارة ديوانية قمرقية حسنة التنظيم خاصة بوهـران وحُنين مثلما هو الأمر بمواني إفريقية: بجاية وتونس وسوسة.

ويبدو حسب "جورج مارسى" (المخزن ص 68) أن التجارة بها كانت أقل منها من التجارة بالمدن المرينية أو الإفريقية. والثروات نفسها مثل المعادن كانت محدودة، فمعدن الحديد - الوحيد الذي كان مستخرجا بجهة حنين - لم يكن له أثر كبير على النشاط الاقتصادي، غير أن تلمسان والسهول المجاورة لها حيث كانت المياه متوفرة عرفت أراضيها خصوبة كبيرة وازدانت بالبساتين والحدائق أنتجت الغلال والثمار.

لم تكن تُعرف في عهد رومة "بالجنان" ؟ وكانت تزدهم حدائقها الغناء وأشجار اللوز والخوخ والعناب والعنب والحبوب والغلال ممّا كان يسحر الزائرين ؟ ولئن كانت بتلمسان هذه الأرض الخصبة وهذه الجنان الفيحاء فإن النشاط التجاري هو الذي طبع حياتها لتجذر التقاليد التجارية في أهلها. فكانت هذه العاصمة الزبانية تعتبر مركزا قديما هاما للتجار المشهورين بسمعة طيبة تجاوزت حدود تلمسان. فقد كانوا معروفين باستقامتهم وعدلهم وشرفهم مثلما يؤكد ذلك ليون الإفريقي⁽¹⁾. وقد تضاعف هذا النشاط التجاري والتبادل التجاري المتأتى عن الخط البحري المتوسطي من ناحية والخط الصحراوي الإفريقي المار بسجلماسة ثم بمالي والسودان بلاد السود عامة من ناحية أخرى. وهذا الوضع ضاعف هو الآخر في اهتمام النصارى بالمغرب الأوسط وبتلمسان التي كانوا يعتبرونها الأرض

6 - طريق الذهب

كانت تلك القوافل الواردة من الجنوب ومن الصحراء تحمل معها دقيق الذهب فتأتي بهذا المعدن الثمين السوداني من أعالي نهر النيجر وأعالي بلاد السينغال والتيمبوك ومن مالي وكذلك من بالهولا المعروف ذهبها منذ القدم بالغرب. وهذا ما يؤكد بيزاز في دراسته "العلائق بين تافيلالت والسودان" الذي يقول: "كان المغاربة يذهبون لمقايفة الملح بالذهب في القرن الثالث عشر". وقد كان هذا الذهب ثروة بعض البلاد الإفريقية الفقيرة في الحقيقة ينتقل إلى الشمال ويقع تبادل ببشائع ضرورية مثل الملح غير الصحراء، وكان ينتقل حتى جنوب إفريقيا وكذلك إلى تافيلالت في أقصى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، وهذا المد يصل حتى المحيط الأطلسي خاصة بجهة سلا. وكان التجار الإيطاليون يعرفون طريقة الوصول إليه وإلى هذا المكان بجنوب إفريقيا.

البربرية الحقيقية المختلفة عن إفريقية المغرب الأقصى. وكانت القوافل المارة بالصحراء تحمل إلى تلمسان الملح والعاج وريش النعام والصمغ والطيب والعنبر والند المستعین بعنبر سجلماسة. ولقد تحدث ليون الإفريقي عن تلمسان في القرن السادس عشر قائلا: "إن مملكة تلمسان كانت تنتج قليلا غير أنها تمثل مركزا استراتيجيا بين أوروبا والحبشة أي السودان"

هذا هو الوضع الجغرافي الاقتصادي الذي كانت تتميز به المنطقة وهذه هي العلاقة مع العمق الإفريقي التي كانت تختص بها تلمسان وتبهر الأروبيين وتدفعهم إلى الاهتمام بهذه المملكة العربية الإسلامية البربرية في المغرب الأوسط.

ولئن كان الذهب يمرّ هكذا بطرق عديدة حتّى أنّه كان يعبر خاصّة عن طريق سجلماسة عاصمة التافيلالت، غير أنّ هذه المنطقة كانت جبال الأطلس تفصلها عن المغرب الحاليّ المغرب الأقصى. ومما لا شكّ فيه لقد كانت طرق أخرى توصل الذهب إلى مراكش وفاس في مراسي ساقي وسلا وارزبلا وسبتة. إنّ طريق سجلماسة كان ينفّث قبل كلّ شيء على تلمسان فتعتبر سجلماسة بحقّ باب الصحراء وإفريقيا السوداء، للتلمسانيّين، وكذلك للمغاربة. كما كانت تلمسان بالنسبة للقوافل المارة بسجلماسة همزة الوصل لعالم البحر الأبيض المتوسط. وكان هذا سببا كافيا جعل كلّ دول المغرب تتنافس على سجلماسة التي صارت تتحوّل من مملكة إلى أخرى، فبعد الموحدّين آلت إلى تلمسان ثمّ المرينيّين فالحفصيّين فالمرينيّين من جديد، ثمّ إلى بني عبد الواد بتلمسان. إذ أنّ السّيطرة على سجلماسة تعني السّيطرة على أهمّ طريق من الطّرق المؤدّية إلى

الذهب في تّخوم بلاد البربر الشّرقية والمغرب الأوسط. ولقد سيطر عليها بعد سقوط الدّولة الأمويّة بدمشق بنو رستم بتاهرت ثمّ الفاطميّون بالمهدية. وفي القرن الثّالث عشر تناحر عليها الموحدّون وبنو عبد الواد ثمّ الحفصيّون سنة 1243م قبل أن تسقط سنة 1257م ونهائيّا سنة 1274م تحت السّيطرة المرينيّة.

وسواء كانت سجلماسة تحت هذه الدّولة أو تلك فبقى تلمسان هي المركز المطلّ عليها والحاصل على الذهب المياض مع ذهب مالي والسّودان. وكان هذا الذهب يقايز بالنسيج والأواني الحديدية والقصديرية والنّحاس والأواني البلّورية والطّيب والعنبر، وكانت تُستّرَى هذه السّلع المتواجدة بتلمسان والواردة سواء من غرب أوروبا وأراغون أو إفريقية. والمغرب الأقصى بمادّة الذهب. وكانت كلّ البلاد الأروبيّة تفتقر إلى الذهب وتحتاجه.

وكادت ممالك إفريقيا والمغرب وخاصّة محور

تلمسان - سجلماسة تكون مركز تموين من مادة الذهب أساسيًا بدونه لا تستقيم التجارة في هذه المنطقة ويختل هذا التوازن العاملي في حوض غربي البحر الأبيض المتوسط.

ولقد أثار هذا الوضع شهية البطلانيين وضاعف مطاعمهم وانبهارهم بهذا الثراء الممكن القادم من هذا البلد الإسلامي البربري المتمثل في المغرب الأوسط، ودفعهم إلى التعجيل بالسيطرة على غرب حوض البحر الأبيض المتوسط باحتلال ميورقة ومينورقة، وقبلها صقلية ثم سردينيا، وبالتحكم في هذه الطريق إلى البلاد المغاربية الموصلة إلى "نهر الذهب" وإلى الثروة عموماً.

7 - تجارة الرقيق

وسرعان ما اتضح للبطلانيين بأن المغرب الأوسط مركز هام لتجارة الرقيق: للحصول على العبيد السود من إفريقيا والعبيد المسلمين، ومبادلتهم أو بيعهم. ومنذ أواسط القرن الثالث عشر تكاثر عدد العبيد السود القادمين عن طريق تلمسان وبلاد المغرب من إفريقيا ومن القطع بالبحر. فلقد كان الأسرى والعبيد — الواردون من إفريقيا السوداء عن طريق تلمسان ومراسي المغرب الأوسط بواسطة القرصنة والحروب — يباعون عادة في قطلانيا وأراغون، وبعد استرجاع جزر البليار ومينورقة أصبحوا منها ينتقلون إلى برشلونة. فكان رعايا ملك أراغون يتوجهون غالباً إلى تلمسان للحصول على ما يرغبون فيه من العبيد: من السود أو المسلمين، مثلما يوضحه القانون الغريب الذي أصدره التاج الأراغوني سنة 1274م في هذا الشأن. ففي 14 ماي من هذه السنة سمح ملك أراغون لإبرخكي أرنس وبيرنجي دوسالا

8 . دور الجاليات اليهودية

كان اليهود يعيشون في البلاد الإسلامية المغاربية وبالمغرب الأوسط في أمن ويعملون في اطمئنان وحرية. يعاملهم المسلمون على أساس التقاليد التي أرسنها العهدة العُمّارية بالقدس - التي أعطاها سيدنا عمر بن الخطاب عند فتحه بيت المقدس لليهود والنصارى على السواء - ولقد كان بتلمسان عدد محدود من اليهود. وكانوا نشطين يساعدون القطلانيّين على تعاطي التجارة: تجارة الذهب والعبيد. فعن طريقهم كان القطلانيّون يحصلون على ما يريدونه في القرن الثالث عشر، إذ كانت مجموعة قليلة من اليهود الأغنياء والرأسماليّين تعيش ببرشلونة وتقرض الملك ما يحتاجه من أموال وتُشجّعه على التعامل مع يهود تلمسان، بل تكلفهم بمقايسة الذهب الوارد على تلمسان ببشائع المملكة. وبعد استرجاع أراغون جزر البليّار حُرّص السّاج الأراغونيّ على التعامل مع يهود البليّار النشطين والذين

وجوم مارتي بالتّجار في العنصر البشريّ أسرى وعبيدا من مملكة بني عيد الواد، فيمكنهم اشتراء النّساء والرّجال وبيعهم بأراغون واستيراد الرّاغبين عن طوعية في الاستيطان بأراغون بصفة عبيد. فيعمل هؤلاء التّجار على الحصول على مسلمين من بلاد المغرب الأوسط يرغبون في الاسترقاق ومغادرة مملكة تلمسان. فلماذا كان مثل هذا التّعامل؟ وهل كان حقّا من بين المسلمين بتلمسان من كان يرغب في أن يصبح عبدا ببلاد أخرى بأراغون؟ لماذا؟ هل الفقر والحاجة؟ الواقع إنّها كانت طريقة للحصول على العبيد بدون ثمن! أمر غريب يثير الدهشة. وهل تحقّق فعلا وهل كان هنالك من أهالي مملكة تلمسان من قبل التحوّل إلى أراغون كعبيد للحصول على الجنسية مقابل فقدان الكرامة والحرية؟

كانوا ينتقلون إلى إفريقية وتلمسان ويربطون علائق تجارية مع التجار المسلمين بالبلدين.

وكان الملوك المسيحيون يتخذون بعض هؤلاء اليهود ممثلين لهم وسُفراء لدى سلاطين تلمسان: فالفونس الثالث وجاقمو الثاني ملكاً أراغون استعملا اليهود أبراهم وساموأل بن غلال وبندافي وساموأل أعوانا مفاوضين بالمغرب الأقصى وتلمسان وغرناطة. وكذلك كان الشأن لملوك ليون وقشتالة. فلقد اتخذوا سفراء يهودا. ويبدو أنّ البابا في 4 نوفمبر 1220م "البابا هُنُورِيُوس الثالث" عاتب على ذلك ألفونس التاسع ملك ليون. وفي سنة 1265م أرسل جاقمو الغازي ملك أراغون يهوديًا ميورقيًا "أستروش بون سنيور" كمعون سريّ ليتلصص على حقيقة الثوار بمرسية.

كان اليهود - بحكم صلتهم بالمسلمين - يجيدون دورهم ويحسنون نصح الملوك المسيحيين وخدمتهم، تجارة أو سياسة وأحياناً محاسبين وقادة عسكريين.

فحسبما تؤكد وثائق الأرشيف الأراغونيّ كان الوراق دافيد حابا اليهوديّ يبيع السجلات الضرورية للمحاسبة الملكية لألفونس الرابع ملك أراغون. وكان الرّبيّ "أبراهم" والرّبيّ "نُديا" من يهود سرقوسة يعملان محاسبين بالخزينة الملكية. وأمّا في عهد الملك بطرو الثالث فكان الإخوة اليهود "ابن مناس" يشتغلون كقادة بجيش النّاج وفتحوا باب التجارة الكبيرة في القموج. ومن اليهود من كان يشتغل مستشاراً أو طبيباً خاصاً بالملك مثل "يوسف بن طرافي". وكان من بينهم من يشتغل بتهجير المسلمين من ميورقة إلى بلاد الإسلام أو بلاد النصارى لتنصيرهم أو استرقاقهم. وكان دخول اليهود حرّاً لبلاد أراغون لكلّ هذه الخدمات لكن مقابل معلوم يدفعونه يقارب 12 سوردبّا برشلونيّا. وكان تنقلهم بين البلاد المغاربيّة وميورقة دائماً. وكانوا تخصصوا في القرن الثالث عشر في تهجير مسلمي ميورقة - بعد إعادة احتلالها - وتسهيل ترحيلهم إلى بلاد المغرب

وإلى تلمسان خاصة. وكان هذا العمل مُريحاً ويشجّعهم عليه التّاج الأراغونيّ. وكان عددهم ببلاد التّاج عامّة يبلغ ستين ألفاً - حسبما يؤكّده المؤرّخ "فيسانس فيفس" في "إستورينا الاجتماعية والاقتصادية ببرشلونة" (ج 2، ص 56) - بينما كان عدد السكّان القطلانيّين ببلاد التّاج مليون نسمة.

ولئن كان اليهود يلقون هذا الاهتمام وهذه العناية في بلاد التّاج لهذه الخدمات الدقيقة والمفيدة جدّاً التي كانوا يقدّمونها فلم تكن دائماً معاملتهم حسنة مثل المعاملة الحرّة التي كانوا يلقونها بالبلاد الإسلاميّة، فكانوا يُطالبون بوضع شارة خاصّة أو لباس زيّ خاصّ يشير إلى هويّتهم اليهوديّة، ممّا يشير إلى أنّ اندماجهم الاجتماعيّ بالمجتمع القطلانيّ كان مستحيلاً أو منعزلاً تقريباً، لولا هذا الدور التجاريّ والسياسيّ الذي أتقنوه وأدّوه بكفاءة - حسبما تشير إليه مختلف الوثائق - غير أنّهم كانوا دوماً يستدرون من هذه الخدمات أكبر الفوائد

وأضخم الثروات. وكانوا يعيشون في مجموعات يُسمّى على رأسها الملوك أشرافاً يحملون اسم الفقيه، مثلاً هو الشّان عند المسلمين. ويشير اللّقب إلى شرف الرّئيس وعلمه ونبله. وحسبما ورد في الجزء الثّاني في الأرشيف الأراغونيّ (ص 84 رقم 1117)، كان هذا الفقيه وحده المسموح له بعدم لباس الشّارة الخاصّة أو الثّوب المميّز. أمّا بقية اليهود فكانوا مطالبين بوضع هذا الثّوب المميّز وذلك في كلّ مدن التّاج الأراغونيّ. ولقد صدر في 11 أفريل سنة 1284م مرسوم ملكيّ يعني الفقيه ساموئيل من وضع اللّباس المميّز (جلباب مستدير)، ونجد مثل هذه الإشارة في السّجلّ (رقم 43 عدد 110) من الأرشيف الأراغونيّ. وكانت لهؤلاء بإذن من الملك ومجموعة الرهبان الدومينيكان شبه مدارس خاصّة تعلّم العبريّة لحاجة التّاج لهذه اللّغة في بعض الحالات والاستعمالات. وذلك في برشلونة وبلنسية لكتابة بعض العقود في بلاد المغرب والاطّلاع على بعض الكتب

وترجمتها. وكان يهود تلمسان يتمتعون بمكانة كبيرة لدى التاج للمعلومات والأخبار التي كانوا يُسَرِّبونها ويحصلون عليها. ففي سنة 1274م حين حصلت القطيعة بين تلمسان والتاج الأراغوني ورفض سلطان تلمسان إمضاء المعاهدة - حسب الشروط الأراغونية - سمح ملك أراغون جاقمو الغازي بالقطع والقرصنة ضد تلمسان ورعاياها. وأذن باستثناء يهود تلمسان الذين كانوا يركبون البحر والذين يريدون السفر للاستقرار ببلادها للخدمات الجلية التجارية والمالية والسياسية التي تفانوا في تقديمها للتاج. وكان هؤلاء اليهود لا يتوقفون عند المناطق الساحلية من برشلونة وبلنسية وميورقة إلى المراسي وتلمسان فحسب بل حاولوا النفوذ إلى أعماق البلاد البربرية إلى بسكرة وتوغرت وورغلة وجنوب تونس وجربة وقابس وطرابلس وإفران بالمغرب، وخاصة إلى تيفلاّت ومركزها سجلماسة: باب إفريقيا السوداء والصحراء.

و- وهكذا تمّ الربط بين القطلانيين وبلاد التاج الأراغوني ومعدن الذهب وطرقة عن طريق يهود تلمسان. ونشأت لذلك جاليات يهودية بمدن هذه الطرق الموصلة إلى الذهب من تلمسان وسجلماسة وتُمبُوكْتُو إلى شوموك، فنستطيع أن نقول إنّ هذه الطريق - طريق الذهب - التي كان يرنو لها القطلانيون طريق يهودية. ولا ننسى أنّ الطبقة اليهودية تميل إلى المعدن الأصفر وتريد أن تكون ثروتها ذهباً وكلّ ما تحصل عليه من تجارتها من هذا المعدن الثمين الأصفر، لذلك نشطت هذه الجالية اليهودية سواء ببلاد التاج أو بتلمسان وعملت على تنشيط التجارة بالمنطقة ومقايضة مختلف البشائع ذهباً.

وعلى كلّ فإنّ صناعة المعادن الثمينة ذهباً أو فضة كانت دوماً من اهتمامات اليهود، إلى جانب سياسة القروض وما يتصل بها من فوائد وربّما. والملاحظ أنّ الكثير من هؤلاء اليهود كانوا يعتبرون

من أصل ميورقي حتى وإن كانوا مقيمين بتلمسان. وكان حاكم ميورقة يعتبرهم دوما رعايا ميورقيين لما يدرونه عليه من فوائد جمّة ماليّة وسياسيّة واستراتيجيّة للتغلغل أكثر فأكثر في شؤون الدولة الزّيبانية وديوانتها النشطة. ولذلك كانت أوّل هيمنة على القمرق التلمسانيّ لميورقة وأوّل إيتاء وُظف على البضائع القطلانيّة لفائدة القطلانيّين كان لميورقة. وكان للجالية اليهوديّة دور نشيط في ذلك. وسرعان ما نشأ تنافس بين القطلانيّين أنفسهم للسيطرة على الديوانة التلمسانيّة بين الميورقيّين وأراغون. وظلّ يهود ميورقة الرعايا الأنشط والأكثر مكانة ببلاد التّاج الأراغونيّ لهذا الدور الاقتصاديّ والسّياسيّ الهامّ. وممّا يؤكّد هذه المكانة الامتياز الخاصّ الذي حصل عليه يهود ميورقة حين كانوا يُؤسّرون أو يشترون أسرى مسلمين كعبيد. فكان من المعروف عليهم أن يحرّروا هؤلاء العبيد حين يقبلون اعتناق المسيحيّة وترك الإسلام. وهذا ينطبق على السّادة النّصاريّ

واليهود. لكنّ هؤلاء استطاعوا الحصول على امتياز لا مثيل له ولم يكن يتمتّع به حتى القطلانيّون النّصاريّ أنفسهم، تمثّل في السّماح لهم بالإبقاء على عبيدهم المسلمين حتى وإن تنصّروا. وهو ما كان يخالف تعليمات البابا نفسه. وهذا يشير إلى هذا الدور الخطير الذي استطاعوا أن يلعبوه بأراغون وتلمسان. وكان هؤلاء السّماسرة والتّجار اليهود الميورقيّون - حسب نصّ هامّ وصل إلينا بالأرشفيف الميورقي بتاريخ 1327م (Reales ceoulas ج 7 ص 153-154) - يتعاملون في الدّيار التلمسانيّة على هذا الأساس: يأتي التّجار اليهود بالبضائع ويسلمونها إلى مسلمين يعيشون في جهات بعيدة عن تلمسان وعن السّاحل، ويحملها هؤلاء المسلمون بدون أن يدفعوا ثمنها. ثمّ يعودون بعد مدّة، ويعطون للباعة الإسرائيليّين - أصحاب البضائع - قيمتها فضّة أو بضائع أخرى ثمينة أو تحفا. فنرى كيف كانت السّلع اليهوديّة موزّعة ومفوّضة في أماكن مختلفة

من المغرب الأوسط وكان هؤلاء التجّار متّصلين ومتعاقدين مع يهود آخرين يميورقة ويتولّون ترويج بضائعهم.

كانت الحركة إذن دائبة ناشطة دائمة، لذلك نراها تتطلّب استقراراً وأمناً بين الدولتين ميورقة والتّاج وتلمسان. فالحرب تعني الإفلاس للجميع. لذلك طغت الحسابات والمصالح التجاريّة على المصالح والمطامع السياسيّة ولو إلى حين. وهناك حدث آخر - يجدر ذكره - يؤكّد لنا صلابة هذه العلاقة القطلانيّة المغاربيّة التلمسانيّة من أجل طريق الذهب تمثّل في حرص جاقمو الغازي الذي أصبح ملك ميورقة على استمالة الجالية اليهوديّة القاطنة بتلمسان أو ميورقة نفسها وخاصّة جالية سجلماسة النّاشطة والمتحرّكة. ففي سنة 1247م، قبل 20 سنة من أن يصبح حاكم ميورقة، أعلن حمايته عائلتين يهوديّتين بسجلماسة كانتا تضمّان ستّة عشر شخصاً وسماحه لهما بالقدوم إلى بلاد التّاج، وإلى كلّ

اليهود سجلماسة بالهجرة إلى بلاده، والإقامة بها إن كانوا يرغبون في ذلك. وسمح لهم بالإقامة في ميورقة أو بالنّسبة أو برشلونة حسب اختيارهم. فلقد تطلّعن هذا الملك الطّموح إلى الدّور الهامّ الذي يمكن أن يلعبه اليهود، وإلى هذه الطّريق المحوريّة الأساسيّة المؤدّيّة إلى الذهب: برشلونة، ميورقة، تلمسان، سجلماسة. لقد شعر بضرورة بناء علاقة بينه وبين يهود تغيّلات بأعماق الصّحراء البعيدين عنه بأكثر من ألف وخمسمائة كيلومتراً. وتواصلت هذه السّياسة المشجّعة لليهود والمستعملة لهم مع ابنه بترّو الثالث الذي اعتُبر عهده العهد الذهبي لليهود ببلاد التّاج الأراغونيّ.

وهكذا نرى من خلال كلّ ما تقدّم أنّ سياسة الامتيازات الحاذقة التي اعتمدها التّاج الأراغونيّ مع الجاليات اليهوديّة كانت الخطّة الاستراتيجيّة الامبراليّة التي وضعها للتغلغل سلميّاً في المغرب الأوسط، قبل أن تتّبع للتغلغل في كلّ القارّة ومحاولة السّيطرة على شبه الجزيرة المغاربية كاملة.

9 . طبيهة سكان بلدان المغرب وعوامل قوتها وضعفها

تميّزت حقاً بلاد المغرب جغرافياً من المحيط إلى خليج قابس بتنوعها واختلاف عنصرها البشري من البربر إلى العرب، ومن سكان الجبال إلى سكان السهول، ومن الرّحل المتنقلين إلى الحضر المقيمين. لكنّ هذا التنوع والتّوزّع لم يخلق الطّباع المتنافرة والعادات المتباعدة، بل كانت الحياة والتقاليد متقاربة وبالتالي عامل توحيد القبيلة واستصراخ عند الشّعور بالخطر. وكان الإسلام يمثل حقائق ثابتة موقرة الحماية والمناعة. لكن لا يمكن إنكار مدى استغلال الأعراب والنّصارى المجاورين والمناوئين والمتربّصين بالإسلام والمسلمين بالجزيرة المغاربية للتّنافس القبلي والتّباين العشائري ومحاولاتهم المتكرّرة لخلق الفتن وإثارة القبائل بعضها ضدّ بعض، والدّول المتنافسة لإضعاف بعضها بعضا وتهرئة قوتها العسكرية وقدراتها الهجومية: نجد زناتة

بني عبد الواد ضدّ زناتة بني مرين، والحفصيين ضدّ بني زيان، والمرينيين ضدّ عرب إفريقية، والموحدين وملوك الأندلس وغرناطة. فالانتماء القبلي ساعد على تغلغل القوى الأجنبية الامبرالية في فترات مختلفة من تاريخ البلاد، لكن خاصة في عهود الضعف والتّشرذم والتّعصّب العشائري.

ويجدر بنا - ونحن نذكر عوامل القوّة والضعف لهذه المنطقة المغاربية في تاريخها العربيّ الإسلاميّ القويّ والضعيف - أن نلاحظ أنّ العمارة البحرية وتجهيز الأساطيل كان غالبا من أسباب ضعفها. إذ لم تكن لها أساطيل قويّة، ولم تزدهر بها صناعة المراكب والسفن مثلما كان الأمر في شبه الجزيرة الإيبيرية والسواحل القطلانية. فالخشب لم يكن متوفّرا بكثرة ولم تشيّد دائما وأبدا أحواض بناء السفن في عديد المراسي. صحيح إنّ المستنصر بالله الحفصيّ اهتمّ بالموضوع وبنى حوضا كبيرا للسفن بتونس وسوسة، وكذلك فعل أبو حمّو بوهران وابنه أبو تاشفين بحنين والجزائر وأبو يوسف

10 - العامل الديني وتوَّع الرهبان ببلاد المغرب

كان الهدف الديني في السياسة الأراغونية القطلانية هدفاً استراتيجياً وقاعدةً أساسيةً في سياسة التاج الأراغوني. فبعد استرجاع ميورقة والاستيلاء عليها وطرد المسلمين منها واصل أراغون المساهمة في كل المخططات التي وضعها البابا بروما والمملك فردينان قديس قشتالة لإعادة احتلال بلاد الأندلس وإفريقية ومراسي المغرب الأقصى والأوسط لكن التركيز على الناحية الدينية كان تقريباً منعدماً. وقد صب القطلانيون انشغالهم على النواحي المالية والتجارية والسيطرة على أهم الموانئ التجارية: بجاية وتونس والمهدية ووهران والجزائر وطنجة وسبتة والجزيرة وجبل طارق. لكن هذه الخصوصية في سياستهم لم تمنعهم من الاهتمام بالناحية الدينية في سياستهم التجارية باشتراك بناء الفنادق الخاصة بالمسيحيين مع

سلطان فاس والسطان أبو الحسن موحد المغرب ببعض مراسي المحيط الأطلسي لكن بقيت هذه الأساطيل ضعيفة غالباً، فكان السلاطين يلجؤون إلى كراء المراكب والأجفان والاتفات إلى الأعداء النصاري عامة والقطلانيين خاصة. ولا ننسى أن الطرق البحرية التجارية وحتى طريق الهند وطريق التوابل والقنوج والحبوب كلها كانت تحتاج إلى المراكب، حتى في فترات السلم. ولقد احتلت هذه النقطة الهامة مكانة ودوراً في السياسة المغاربية داخلياً بين الدول المغاربية فيما بينها وفي علاقاتها بدول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وبالدول القطلانية خاصة بإسبانيا وإيطاليا بمقلية وبقيّة جزر المتوسط في القرن الرابع عشر ميلادياً. ولعل هذه الحاجة للجفن القطلاني وللمراكب البحرية في تجارتها وأمنها كان سبب مرونة هذه الدول وضعفها في آن واحد في علاقتها المغاربية القطلانية الإسبانية.

تشديد الكنائس ووجود الرهبان لتوجيههم ومساعدتهم روحياً ودينياً. فنتج عن ذلك وجود عدد كبير من الرهبان ورجال الدين لتسيير تلك المعابد الدينية والإشراف على القُدّاس. بل لقد وجدت بعض المجموعات النشطة والمبشرة والمؤثرة مثل رجال كنيسة مراكش - في عهد المأمون الخليفة الموحدي - والكنائس والمرجعيات الدينية والتبشيرية في عهد ابن اللّحياني الحفصي بتونس وقرطاج وبجاية وبونة. ونعلم الدور الذي قام به "رامون لول" لتنصير أبي يحيى اللّحياني مغتصب السّلطة بتونس والواعد بالتّنصّر، وكان الأمر كذلك بالنسبة إلى السلطان ابن أبي ضربة حفيد اللّحياني بالمهدية وأبي تاشفين الزّياتي بتلمسان.

فكان لرجال الدين والرهبان الذين أمكن لهم الانتصاب ببلاد المغرب: بإفريقية وتلمسان ومراكش دور في الاستراتيجية التبشيرية والتنصيرية وهي خطط السيطرة والاحتلال. لكن كانت هذه السياسة هادئة

خيوطها تحاك بروما وقشتالة وبرشلونة وميورقة ووسائلها تتدعم في الخفاء، لكن في دواوين الدولة والبلاط السلطاني عن طريق الجنود المسيحيين المرتزقة وقادتهم النصارى، الشخصيات المؤثرة سياسياً واستراتيجياً وروحياً ومصيرياً في حياة الدول المغاربية.

11 - الفيلق المرتزقة والفرسان القاطنة والقناصل والسفراء

تميّزت العلاقات القطلانيّة المغاربيّة عموماً في الدّول المغاربيّة الثّلاث: إفريقيّة وتلمسان والمغرب الأقصى بعامل دفاعيّ أمنيّ اجتماعيّ، كان له أبعد الأثر في الوضع السّياسيّ والبشريّ، كان يتمثّل في إقدام السّلاطين في كلّ الدّول على تأجير المرتزقة القطلانيّين في جيوشهم وفي الحاميات الشّخصيّة والبلاطيّة. فكان الحرس الحامي للسّلطان وبيته وعائلته من المرتزقة، وكانت ألوّية من الجيش أو الأساطيل تتكوّن من المرتزقة، وكان الملوك النّصارى القطلانيّون هم الذين يتولّون بأنفسهم تأجير مرتزقة الحرس، بل تعيين قادتهم واشتراط ذلك في كلّ عقد تسويغ. وكان السّلاطين يطالبون بهؤلاء المرتزقة ويتّخذونهم حرساً لهم، وأحياناً كانوا يختارونهم من بين النّصارى والتّجار الذين يتمّ أسرهم عند القطع وفي الإغارات

والحروب. وبهذه الطّريقة أصبحت جاليات من العساكر المسلمين بالبلاد المغاربيّة لها علاقات مع بقيّة الأقوام والعاملين بمختلف الحرف والمهن وخاصّة بالتّجارة، وصار لهم تأثيرهم ودورهم ووساطاتهم، بل انصهر بعضهم في المجتمع المغاربيّ، وحدثت مصامرات واختلاطات بشريّة لعبت دوراً في مختلف الفتن والحروب والتّحالفات الرّسميّة مع الأمراء والحجّاب والوزراء. وكثيراً ما كانت مؤامرات البلاط ضدّ السّلاطين والحجّاب تتمّ بواسطة هذا الحرس القطلانيّ المسيحيّ وتنفيذ من القائد النّصرانيّ الذي كان يأتهم غالباً بأوامر ملك أراغون وأحياناً أخرى بأوامر الكنيسة، كما حدث في عهد السّلطان يحيى اللّحائيّ وتاشفين بن أبي حمّو سلطان تلمسان أو الخليفة المأمون الموحد الذي كان أوّل من سمح ببناء كنيسة في مراكش وتعيين رهبان بها. وكان من بين هذا الحرس المسيحيّ القادة والفرسان والرّماة والمشاة بالمخزن، وكانوا موزّعين

بمختلف المدن والمراشي ومكلفين مع الجنود البرابرة والعرب بإخماد الفتن والثورات. لذلك كانوا يجوبون البلاد طولا وعرضا. وكان هؤلاء يعيشون نمط حياة المسلمين عامة مع السماح لهم بشرب الخمرة مع ما يترتب عن ذلك من مشاكل وانتهاك حرمان وعلاقات مريبة.

٥- القائد والقائد الأعلى

كان لقب القائد يُسند لكل من يُشرف على فيلق من فيالق الحرس مع مرتب هام يتجاوز بكثير مرتب عسكري الحرس. ويسند لقب القائد الأعلى "Alcayt Mayor" لرؤساء القواد وكل من يفرض نفسه من بين القواد بخدماته وأعماله في الفتن والحروب. ويتم أحيانا تعيين قائد أعلى لكل أصيلي بلد واحد للقطلاتيين الميورقيين، وآخر لقطلاتيين برشلونة، وبالنسبة للمرينيين قائد أعلى للحرس أصيلي قشتالة، وآخر للقطلاتيين أو للصقلبيين بالنسبة لتونس. والملاحظ أن زعيم الجميع كان عادة

لقلاتيا يعينه ملك أراغون نفسه. ففي تلمسان كان جاقمو اللقيط بن جاقمو الثاني هو القائد المسؤول الأعلى بالنسبة لجميع مسيحيي السلطنة، في فترة من الفترات. وكان هذا القائد العام الأعلى ينحسب نفسه رئيسا لكل النصاري وقاضيا لهم يبيت في شؤونهم ويفصل مشاكلهم. فكان لهذه الشخصية إذن نفوذ واسع على مواطنيه وعلى السلطنة نفسها وأحيانا في توجيه السلطان وتجديد سياسته إذ غالبا ما يكون مستشاره ولا سيما إن كان صديقه وجليسه مثلما كان الأمر بالنسبة لتاشفين الزياني الذي كان صديقا لقائد الحرس منذ صباه فاتخذته مستشاره واستعان به على قتل والده أبي حمو والانفراد بالحكم. وكان القائد شجعه على ذلك وزين له الأمر. وكان هذا القائد الأعلى يتقاضى أجرا وحقوقا على كل شأن يقضيه أو قضيه يفصلها أو أمر يبيت فيه للقطلاتيين.

والملاحظ أن هذه المهام كان يقوم بها القنصل أو

12 - التَّجَارَة وَالْمِهَالِيم الْقَمُوقِيَّة

إِنَّ كُلَّ النَّشَاطِ السِّيَاسِيِّ وَالْدَيْبُلُومَاسِيِّ مُرْتَبِطٌ بِمَسِيرِ الْحَيَاةِ التَّجَارِيَّةِ وَأَنْشِطَتِهَا. وَالذَّوْرُ الْمُبَاشِرُ لِلقُنَاصِلِ وَالقَوَادِ وَالقَطْلَانِيِّينَ كَانَ يَتَعَمَّلُ فِي الإِشْرَافِ عَلَى هَذَا النَّشَاطِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَفَصْلَ قَضَائِيَاهُ. فَهَذِهِ الْحَيَاةُ تَتَحَكَّمُ فِي تَطَوُّرِ الْعِلَاقِ الْمَغَارِبِيَّةِ - الْقَطْلَانِيَّةِ وَنَوْعِيَّتِهَا. وَلَقَدْ سُنَّتْ قَوَانِينُ وَتَرْتِيبَاتُ لِتَسْهِيلِ هَذَا النَّشَاطِ وَتَحْدِيدِ كَيْفِيَّةِ دُخُولِ الْبِضَاعِ وَخُرُوجِهَا، وَكَانَتْ جَلَّهَا تَوْجَدُ بِالْمَرَاسِي إِلَى جَانِبِ التَّجَارِ الْقَطْلَانِيِّينَ أَنْفُسَهُمْ. لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي انْعِمَادَ وَجُودِهِمْ دَاخِلَ مَدَنِ الْبِلَادِ الْمَغَارِبِيَّةِ فَالتَّجَارِ الْقَطْلَانِيِّونَ وَجَدُوا كَذَلِكَ بِالْقَيْرَوَانِ وَقَفْصَةِ وَفَاسِ وَالنَّصُورَةِ وَتَلْمَسَانَ وَسَجْلَمَاةَ.

أَمَّا الْقَوَانِينُ الدِّيُونَانِيَّةُ فَهِيَ تَقْرِيبًا وَاحِدَةٌ بِتَلْمَسَانَ وَافْرِيقِيَّةَ وَفَاسَ وَتَتَعَمَّلُ فِي دَفْعِ عَشْرِ قِيَمَةِ الْبِضَاعَةِ لِلدِّيُونَانَةِ وَتَدْفَعُ نَقْدًا وَأَحْيَانًا بِضَاعَةً وَتَدْفَعُ عَادَةً بَعْدَ بَيْعِ الْبِضَاعَةِ كَمَا يُوَضِّحُهُ الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ

السَّفِيرِ بِالنِّسْبَةِ لِافْرِيقِيَّةَ. إِذِ الْفَصْلُ فِي شُؤْنِ الْقَطْلَانِيِّينَ وَالتَّجَارِ الْقَطْلَانِيِّينَ وَالْمَسِيحِيِّينَ كَانَ يَعُودُ لِلْقَنْصَلِ وَحَدَهُ فِي افْرِيقِيَّةَ الْحَفْصِيَّةِ أَمَّا فِي تَلْمَسَانَ فَلَقَدْ اسْتَطَاعَ الْقَائِدُ الْأَعْلَى أَنْ يَحْصَلَ عَلَى هَذَا الْاِمْتِيَازِ وَيَصْبَحَ شَخْصِيَّةَ مَرْمُوقَةٍ وَمَوْثُورَةٍ. وَكَانَ أَحْيَانًا يَخْدُمُ بِإِخْلَاصٍ وَتَفَانٍ قَضِيَّةَ سُلْطَانِهِ كَمَا حَدَثَ لِأَبِي تَاشَفِينِ الزَّيَّانِيِّ الَّذِي وَجَدَ فِي قَائِدِهِ الْمُسْتَشَارِ الْمَخْلَصِ وَالْيَدِ الطَّوِيلَةِ الْقَاطِعَةِ. وَغَالِبًا مَا يَكُونُ هَذَا الْقَائِدُ مَدْسُوسًا وَمَتَأَمَّرًا عَلَى السُّلْطَانِ وَيَدُورُ مَعَ الرِّيَاحِ وَحَسَبَ أَهْوَاءِ مَلِكِ أَرَاغُونِ وَأَهْدَافِهِ.

أَمَّا السَّفِيرُ فَهُوَ شَخْصٌ ذُو مَسْتَوًى أَعْلَى وَأَدَقَّ وَيَنْطَبِقُ عَلَى رُسُلِ مَلِكِ أَرَاغُونِ الَّذِينَ يَنَاقِشُونَ بِنُودِ الْمَعَاهِدَاتِ وَيَبْرُمُونَهَا وَغَالِبًا يَكُونُونَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الْمَلِكِ وَالْخَادِمِينَ الْمَخْلَصِينَ لَطَمُوحَاتِهِ وَامْبِرِيَالِيَّةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَأَغْرَاضِهِ الدِّيْنِيَّةِ الْبَعِيدَةِ. وَكَانَتْ صِلَاتُهُمْ تَتَمَّ مِبَاشَرَةً مَعَ السُّلَاطِينِ وَحُجَّابِهِمْ وَيَعْتَبِرُونَ بِحَقِّ النَّاسِجِينَ خِيُوطَ السِّيَاسَةِ الْقَطْلَانِيَّةِ وَالْعِلَاقَاتِ الْمَغَارِبِيَّةِ الْقَطْلَانِيَّةِ.

المعاهدة القطلانيّة الإفريقيّة ببلنسية سنة 1271م.

أما الدّراهم التي كانت تجلب وتدخل البلاد فتدفع خمس بالمائة كمعلوم قرقنيّ سواء كانت ذهباً أو فضّة، وغالباً لا يُسمح بتصديرها إلّا بعد إثبات دخول قيمتها بضاعة فعليّة.

والملاحظ أنّ هذه القوانين والمعالم لا تنطبق على القسوح والحبوب الممنوع تصديرها ولا يمكن السّماح بتصديرها إلّا بأذن ورخص خاصّة تشير إليها المعاهدات وعقود الصّح: مثل معاهدتي سنة 1313م بين تونس وميورقة وسنة 1314م بين إفريقيّة وأراغون.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال هو تحريم الكنيسة والدّول المسيحيّة تصدير القسوح إلى البلاد الإسلاميّة⁽¹⁾. أما الزّيوت فيبدو أنّه كانت فيها

(1) الأرشيف الأراغونيّ دفتر 555 صندوق 23 رقم 5271 — موفر. —
دراسته ص 521.

تسهيلات خاصّة توريداً أو تصديراً، مع معلوم ديوانيّ (ضعيف، مثلما نصّت عليه معاهدة أراغون وإفريقيّة في واحد ماي سنة 1323م⁽¹⁾ في فصلها الرّابع والعشرين.

وكانت تتمّ المعاملات بين التّجار القطلانيّين والمسلمين أنفسهم في المراسي وأحياناً يتمّ البيع بالدّالة بواسطة الدّلال المتخصّص والقانونيّ بالميناء. وهذا يشير إلى عمق هذه الحركة التّجاريّة واندماجها في شرايين الحياة الاقتصاديّة بالبلاد سواء المغاربيّة أو القطلانيّة.

ولحسن سير هذا النّشاط التّجاريّ نلاحظ ختاماً توقّر المرونة الكافية في المعاملات والقوانين وحرص الجميع على تذليل كلّ الصّعوبات والمشاكل. إذ أنّه وإن كانت توجد طموحات وأهداف توسّعيّة مقنّعة للملوك القطلانيّين فالهّم الأساسيّ للجميع هو الاستثراء والربح. ونستطيع أن نؤكد أنّ هذا التّكالب على الرّبح كان

(1) تاريخ برونشفيق: "بلاد البربر الشرقيّة": La berberie orientale. T. p. 242.

حبْل النِّجاة لهذه السُّلْطانات والممالك المغاربيَّة، بل
العرقلة الأساسيَّة في وجه التَّوسُّع القطلانيّ والزَّحف
الصَّليبيّ الكنيسيّ المتحامل دوماً على الإسلام في شبه
الجزيرة المغاربيَّة: بإفريقيَّة وتلمسان والمغرب الأقصى.

1.3 - خاتمة عامَّة واستنتاجات

إنَّ المراسلات التي بين أيدينا لسلاطين تلمسان من
إبي عبد الواد مع ملوك أراغون القطلانيّين ومختلف
الوثائق التي احتفظ بها الأرشيف الأراغونيّ سواء كانت
رسائل أو عقود صلح والتي لم تكن تختلف في روحها
وقضاياها عن الوثائق والرسائل التي نجدها في نفس
الأرشيف باللُّغة القطلانيَّة وبعضها بالعربيَّة والقطلانيَّة
سواء الخاصَّة بالحفصيّين بإفريقيَّة أو المرينيّين
بالمغرب الأقصى تشرِّحُ العلائق التي كانت قائمة بين
هذه الدَّول وتُعرِّى الأساليب والمُراوغات المعتمدة لبسط
السَّيطرة والنَّفوذ أو تحقيق الامتيازات والهيمنة
الامبراليَّة الاقتصاديَّة.

فبفضل هذه الوثائق الأصليَّة الفريدة والإشارات
المختلفة والهامة الواردة في الأرشيف الأراغونيّ في
برشلونة وميورقة نستطيع مسك خيوط السَّياسة
القطلانيَّة المغاربيَّة ونسج تاريخ هذه الحقبة وتسجيل

صورة حقيقية عن حركية هذه المناطق وميزة هذه
التعاملات وهذه البلدان ولا سيما بتلمسان ومراسيها.
وعلى نشأة الامبرالية البرشلونية والرأسمالية القطلانية
مع مبرقة وبرشونة في هذا النصف الأول والثالث
الثاني من القرن الرابع عشر ميلادياً.

إن علاقات التاج الأراغوني مع المغرب الأوسط
بتلمسان بدأت مع باعثة الدولة الزيانية ياغمراسن،
وشهدت فترات قوة ووهن بحسب الظروف والملايسات
التاريخية. ولم تستطع تحقيق أهدافها الامبرالية والمالية
إلا في عهد السلطان أبي حمو وابنه تاشفين لقوة
الحرس المسيحي وقائده ولقبول تلمسان دفع الإيتاء،
السوي من مداخيل القمق التلمساني، كما تشير إليه
معاهدة الصلح المبرمة سنة 1323م. وكانت للفتن
والثورات الداخلية وهجومات الأجوار الأشقاء،
الحفصيين والمرينيين الدفاعية تارة والهجومية أخرى
سببا في هذا التنازل والتخاذل والقبول بهذه الهيمنة

التي ميّزت سياسة ملوك أراغون في القرنين الثالث
والرابع عشر.

وكان طريق الذهب بسجلماسة قد ضاعف من جهود
أراغون ليمسك النفوذ وابتزاز ثراء البلد ومداخيله
الأساسية من التجارة والذهب.

لكن وإن توقفت الامبرالية الأراغونية اقتصادياً
وتجارياً فهي لم تغلح ترابياً ودينياً. ولعل هذا النهم
التجاري والتكالب على الذهب والدينار التلمساني أو
الإفريقي الذهبي كان أحد أسباب هذا التوقف الديني
وفشل المسيحية في الاستيلاء على المغرب الأوسط
وأفريقية. فبقي هذا الحلم سرايا يراود الكنيسة وملوكها
القديسين بتونس وتلمسان وفاس ومراكش. ولئن بدأ
هذا الحلم السرابي يتحقق منذ القرن الثاني عشر
بإسبانيا والأندلس وبعض بلاد المشرق فلقد تكسر على
صخور شموخ العقيدة الإسلامية وتجذرها في شبه
الجزيرة المغربية.

ويحقّ للمواطن المغربيّ اليوم أن يتساءل بعد استطلاع أحداث هذا التاريخ الوسيط واستقراءها هل تبدّد هذا السراب أو مازال يراود بعض عقول الامبراليّة صليبيّة كانت أو سياسيّة اقتصاديّة في هذا القرن الواحد والعشرين ويعرقل نموّ علاقات دوليّة سليمة بعيدة عن الفطرسه والهيمنة؟

ومهما يكن من أمر فقد ظلّ هذا السراب سرّ هذه العلاقة التلّسانيّة القطلانيّة بل المغربيّة، وسرّ هذا الاهتمام المفرط بكلّ ما كان يحدث بأقطار المغرب. وللمواطن المغربيّ أن يتساءل هل سيبقى مثلُ هذا السراب السّياسي بين علاقات الدّول المهيمنة على الدّول الأخرى الثّريّة الضّعيفة والصّديقة في الظّاهر؟! فبفضل هذه الوثائق ولا شكّ عظيم في تعرية هذا السراب وإماطة اللّثام عنه بل فضّحه !!

القسم الثاني

الوثائق

والتّحليل والتّعليق

- التقديم

هي رسالة من هلال بن عبد الله من تلمسان إلى جاقمو ملك أراغون حول النصارى التابعين إلى خوان مانوال والمطلوب إطلاق سراحهم، ومعاهدة الصلح الراغب فيها السلطان، والضمانات المقترحة. وذلك بتاريخ غرة صفر سنة 723هـ الموافق لـ 9 فيفري من سنة 1323م.

نص الرسالة

السُّلْطَانُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَفْضَلُ الْأَحَبُّ
الْأَخْلَصُ الْأَكْمَلُ دُونُ جَاقِمَةُ سُلْطَانِ أَرَاغُونِ أَكْرَمَهُ
اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَوَفْقَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مُحِبُّهُ وَمُعْتَقِدُهُ
الشَّاكِرُ كَثِيرًا عَلَى الدَّوَامِ لَهُ عَبْدُ الْمَقَامِ الْعَلِيِّ خَلْدُ
اللَّهُ مُلْكُهُ هَلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ
الْهُدَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ وَعَبِيدِهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُ [كَتَبْنَا] إِلَيْكُمْ
مِنْ بَابِ مَوْلَانَا أَيْدُهُ اللَّهُ بِخَصْرَةِ تَلْمَسَانَ حَرْسَهَا
اللَّهُ تَعَالَى وَلَيْسَ إِلَّا الْخَيْرُ وَالْيُسْرُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ إِعْلَامُكُمْ بِوُصُولِ كِتَابِكُمْ وَعِلْمُنَا مَا

ذَكَرْتُمْ فِيهِ وَأَنْتُمْ تَطْلُبُونَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ
نَصْرَانِيًّا^(١) مَتَاعَ جَوَانٍ مَنَوَالٍ وَنَحْنُ نَعْرِفُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا
أَرَدْتُمْ صَلَاحَ مَوْلَانَا أَيْدَهُ اللَّهُ فَنَحْنُ نُعْطِيكُمْ^(٢)
الْأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ نَصْرَانِيًّا الَّذِينَ طَلَبْتُمْ مَتَاعَ جَوَانٍ
مَنَوَالٍ وَنُعْطِيكُمْ أَيْضًا زِيَادَةً عَلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ نَصْرَانِيًّا
مِنْ بِلَادِكُمْ مِنَ الَّذِي نُعْطِيكُمْ نَحْنُ بِاخْتِيَارِنَا دُونَ
أَنْ تُعِينُوا لَنَا أَنْتُمْ أَحَدًا فَإِنْ أَنْتُمْ وَافَقْتُمْ عَلَى مَا
ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ فَتَعْمَلْهُ^(٣) لَكُمْ وَيَقَعُ الصُّلْحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَإِذَا أَرَدْتُمْ سَلْفَ ذَهَبٍ فَتُسَلِّفُ^(٤) لَكُمْ
مَا يَتَيَسَّرُ لَنَا بَعْدَ أَنْ تَعْطُونَا الضَّمَانَ وَالرَّهَانَ فِي

- (١) فِي النَّصِّ الْأَصْلِيِّ : نَصْرَانِي [كَذَا]. وَفِي مَا يَلْحَقُ أَيْضًا.
(٢) فِي النَّصِّ الْأَصْلِيِّ : نَعْطُوْكُمْ [كَذَا]. وَفِي مَا يَلْحَقُ أَيْضًا.
(٣) فِي النَّصِّ الْأَصْلِيِّ : فَتَعْمَلُوْهُ [كَذَا].
(٤) فِي النَّصِّ الْأَصْلِيِّ : فَتُسَلِّفُوا [كَذَا].

سَبَبٍ وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَعْمَلُوا مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ وَلَمْ
وَافَقُوا عَلَيْهِ فَمَا بَيْنَنَا كَلَامٌ.
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤَقِّ لِلصَّوَابِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَنْ
أَمَعَ الْهُدَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.
وَكُتِبَ فِي ١ صَفَرِ عَامِ ٧٢٣ هـ.

- التحليل -

هي رسالة من وزير سلطان تلسمان الزيماني (١) هلال بن عبد الله باسم السلطان إلى جاقمو الثاني ملك أراغون يعلمه فيها بتلقي كتابه الذي طلب فيه إطلاق سراح أربعة وعشرين نصرانيًا تابعين للتاجر القطلاني خوان مانوال، والذين كان تم أسرهم، فيعتبر له السلطان عن استعداده لتسليمهم حسب رغبة ملك أراغون، لكن بشرط عقد صلح وإبرامه بين البلدين. ويشترط سلطان تلسمان تحقيق الصلح قبل تحرير الأسرى النصراري. ويعرض عليه استعداده لتسليمه ثلاثين نصرانيًا آخرين يختارهم السلطان بنفسه لا الملك رافضًا إمكانية تعيين ملك أراغون أي واحد من بين هؤلاء الثلاثين المقترحين.

(١) السلطان هو ابن يغمراسن بن عمّان بن موسى بن زيان.

يعرض عليه السلطان كذلك استعداده لتقديم سلف من الذهب إن رغب في ذلك شرط تقديم الرهن وريّ والضمانات الكافية. وإن رفض ملك أراغون الصلح معه فقد أخبره السلطان أنه لا يمكنه أن يعمل شيئًا أو يسلم أحداً، ويكون كل منهما حرًا في رقه.

- التعليق -

نلاحظ من خلال هذه الرسالة صلاية سلطان اسان وجراته في شيء من الكياسة على رفض طلب ملك أراغون الذي يريد الحصول على كل شيء دون دفع أي مقابل.

والسلطان لا يكتفي بإظهاره الاستعداد للاستجابة إلى رغبة الملك في صورة إقدامه على عقد الصلح معه حسب الشروط التي تريدها تلسمان لا التاج الأراغوني.

بل يعرض عليه استعداداه لتسليمه ثلاثين نصرانيًا آخرين لكن بشرط أن لا يختار ملك أراغون أحدا منهم فالسلطان يريد أن يتصرف كما يشاء.

ويعضي السلطان قُدُماً في استعمال لغة الترغيب التي يفهمها ملك أراغون والمتمثلة في إقراضه مبلغاً من الذهب لكن برهان وضمان. ويبدو أن السلطان تقدم بهذا العرض لأن الملك كان كاتبه في شأن الصلح وأرسل له مفاوضاً يطلب منه دفع إيتاء قار من معلوم مداخليل الديوانة التلمسانية وهو نصف العشر وكان السلطان رفض الطلب وامضاء الصلح. وهو ما حمل ملك أراغون على تهديده بالحرب عن طريق القطع والقرصنة. لكن حاجته إلى الذهب جعلته يتوخى سياسة اللين والحصول على الأموال عن طريق التجارة وإيتاء من المداخليل القمريّة بتلمسان.

وكان السلطان يغمراسن الزيماني رفض دوماً دفع العلوم وقبول هذا المبدأ الذي كان يسمح بطريقة غير مشروعة لأراغون بالتدخل في شؤون الديوانة التلمسانية وذلك فعل أبناء يغمراسن.

ونستنتج أخيراً أن الخزينة بتلمسان كانت في حالة شدة وأن الأحوال التجارية والمداخليل المالية من الذهب كانت مزدهرة بما أن السلطان قد عرض على بائعو ملك أراغون إقراضه كل ما يريده من الذهب بشرط أن يعطي رهناً محدداً وضماناً كافياً. فالعلاقات المالية والتجارية كانت متحركة في العلاقات بين البلدين وفي نوع السياسة التي كانت تتبع والتي كان يعتمد عليها ملك أراغون خاصة في علاقته مع تلمسان.

- التقديم

هي رسالة من عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان بتلمسان إلى جاقمو الثاني ملك أراغون يُعلمه فيها بإرساله رُسُلاً لإبرام عقد صلح معه وذلك بتاريخ 17 رجب من سنة 727 هـ الموافق للثامن من جوان سنة 1327م.

- نص الرسالة

مَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ
يَغْمَرِاسَنِ بْنِ زِيَّانَ أَيْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ وَأَعَزُّ نَصْرُهُ إِلَى
الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ السُّلْطَانِ الْأَعَزِّ الْأَنْجَدِ الْأَشْهُرِ الْأَضْحَمِ
الْأَفْخَمِ الْأَرْضَى الْكَامِلِ فِي أَهْلِ مَلِكِهِ الْعَادِلِ
الْأَمْضَى فِي مَمْلَكَتِهِ مَلِكِ أَرَاغُونِ وَبِلَنَسِيَّةِ وَسَرْدَانِيَّةِ
وَمُرْسِيَّةِ وَقَنْطَبَرْشَلُونَةَ جَاقُمُهُ أَكْرَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى
بِهَتْوَاهُ وَوَفَّقَهُ وَأَرْشَدَهُ وَهَدَاهُ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ ابْتَغَى
الْهُدَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ وَالرَّضَى عَنْ
أَصْحَابِهِ الْخُلَفَاءِ التَّابِعِينَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى
الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالِدُعَاءِ لِهَذَا (Sic)

المقام العليّ التّاشعينيّ^(١) السّنيّ بالنّصر العزيز
والفتح الغييم.

فالكتابُ إليكم - كتبَ اللهُ لَكُمْ أصلح الأعمال
وأزكاها ويبلغكم من التوفيق أنهي الأمانى وأقصاها
من حضرتنا بمدينة تلمسان حرسها اللهُ تعالى عن
الخير التام واليسر العام والحمد لله كما هو أهله
وعن الرعي لجانبكم والاعتباط بمصاحبتكم والعمل
على ما يؤكد أسباب مواصلتكم وبمقتضى ذلك -
وجئنا إليكم ولدكم الرعي الأجدد الأنهض الأجدد
المكرم لدينا الأثير عندنا جاقه مع ثقتنا الشيخ
المكرم الأمين الحاج الأفضل أبي يعقوب يوسف بن

(١) تاريخ ابن خلدون. ج 6.

الحوراء برسم عقد الصلح بيننا وبينكم على حسب
ما في العقود الواصلة صحتهما إليكم. وألقينا
إليهما ما يلقيناه في معاني ذلك كله إليكم
وبقرانه على الكمال والتّمام لديكم إن شاء الله
تعالى.

والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب في السابع عشر لرجب الفرد المبارك
عام سبعة وعشرين وسبعمائة.

- التحليل

في هذا الكتاب المُنتظر يُعلم السُّلطان عبد الرَّحمان الزَّيَّانِي جاقمو الثَّاني بأنَّه يرسل إليه مبعوثين لإبرام عقد الصَّح معه: حاجبه الشَّيخ أبا يعقوب يوسف بن الحوراء وجاقمو⁽¹⁾ ابن جاقمو الثَّاني ملك أراغون الذي كان يعمل بتلمسان سفيراً مفوضاً لأبيه يرعى مصالح القُطلاتيين بها ويتاجر في آن واحد لقائده. ولقد أرسله والده مرَّات عديدة⁽²⁾ لتلمسان حيث أقام مدَّة طويلة يتاجر ويدافع عن مصالح القُطلاتيين في تلمسان. وكان يميل إلى سياسة السَّلم مع تلمسان. وأقنع أباه بقبول إبرام عقد الصَّح مع السُّلطان بالطَّريقة التي يرغب

(1) نسبة إلى الجد الأعلى رئيس القبيلة تاشفين بن زِيَّان

(2) يعرف هذا الابن لجاقمو الثَّاني أو بجاقمو اللُّقيط Le Batard وميَّز مرَّات عديدة سفير تلمسان وكلَّفه أبوه مهمَّات كثيرة.

أنظر ابن خلدون، ج 3، بنو عبد الواد، ج 6 - وكتاب دوقرك ص 48 تلمسان.

فيها، أي بدون اشتراط الأداء السَّنوي القارَّ من مداخيل القُرق التلمسانيَّ من البضائع القُطلاتيَّة الدَّاخلة إلى تلمسان، إذ كان سلطان تلمسان رفض هذا الشَّروط ولم يقبل الاستجابة أبداً لرغبات جاقمو الثَّاني وخططه للتغلغل في شؤون الدِّيوانة التلمسانية للسيطرة عليها والحصول على امتيازات، مثلما استطاع أن يفعل مع الحفصيين بتونس، خاصَّة مع ابن اللُّحيانيَّ سلطان تونس في معاهدة سنة 1314م التي كانت سابقة خطيرة رفضها فيما بعد السُّلطان أبو بكر بن أبي زكريَّاء الحفصيّ.

- التعليق

1 - نرى من خلال هذه الرِّسالة والمعاهدة التي أبرمت بين تلمسان وأراغون أوَّلًا أنَّ جاقمو الثَّاني الملهوف على الذهب الذي يمرّ بتلمسان وسجلَّماسة وجد نفسه مضطَّراً للموافقة على شروط السُّلطان عبد الرَّحمان ابن يغمراش بن زِيَّان وقبل إمضاء عقد صلح

معه، وبالتالي على أن يسلمه الأربعة وعشرين نصرانياً الأسرى الذين كان طلب إطلاق سبيلهم وإرجاعهم إليه.

2 - ويتأكد لنا ثانياً الدور الهام الذي كان يلعبه ابن جاقمو الثاني جاقمو اللقيط مُقَوَّضاً منه في مهمات كثيرة بتلمسان وميورقة⁽¹⁾ وفي العلاقات القطلانية التلمسانية في النصف الأول من القرن الرابع عشر.

كما نلمس الصداقة التي كانت تربطه بسلطان تلمسان حتى إن هذا الأخير بعثه مع حاجبه رسولا لأبيه كي يمضيا عقد الصلح الذي كانا أعداه بتلمسان.

3 - ونستنتج أخيراً من هذه الوثيقة والرسالة التي سبقتهما عديد 88 تشابك المصالح في هذه العلائق القطلانية التلمسانية وتداخلها: التجارة مع السياسة والمصالح الشخصية الذاتية.

(1) أنظر ماس لاتوي "معاهدات"، ودوفرك: "مدول المغرب وقطانيا".

(د) - الوثيقة رقم 90

التقديم

هذا الكتاب بتاريخ 17 رجب من سنة 727 هـ الموافق للثامن من جوان سنة 1327 م بعثه الحاجب هلال بن عبد الله على لسان ملكه سلطان تلمسان بن زيان بن عبد الواد إلى ملك أراغون جاقمو الثاني في شأن عقد الصلح المزمع عقده بين البلدين.

نص الرسالة

إلى الملك المعظم السلطان الأسعد الأنجد
الأختم الأفخم الأعز الأشهر عماد أهل بلته
الضابط لمملكته بجميل سياسته ملك أراغون
وبلنسية وسردانية ومرونية جاقمة سنى الله توفيقه
ونهج إلى الرشاد والهدى طريقه من مفتح سلطانته
ومرفع محله على ملوك النصرانية وشأنه عبد المقام
العلي التاشفيني السني أيدده الله تعالى جلال بن
عبد الله سلام [على من] اتبع الهدى ورحمة
الله تعالى وبركاته.

(١) - ما بين معقبن زيادة مما ليستقم التركيب.

وبعد حمد الله حق حمده والصلاة على سيدنا
ومولانا رسولنا الكريم وعبدنا والرضى عن آله
وأصحابه الخلفاء الراشدين الهادين المهتدين من
بعده، والدعاء لهذا المقام العلي التاشفيني الكريم
السني بنصر عزيز من عنده، فالكتاب إليكم -
كتب الله لكم توفيقاً يرشدكم ونهج طريقكم إلى ما
يسعدكم من باب مولانا أيدده الله بنصره وأمدده
بمعونته ويسره عن الخير الأتم واليسر الأعم
والحمد لله على ذلك كثيراً وعن التكرم لسلطانكم
والعرفة بقدر محلكم منه ومكانكم والعمل بمقتضى
ذلك في كل أمره وشأنه وإلى هذا - فإنه بحسب
المعتقد فيكم والمعتمد عليه من محبتكم وتصافيكم
وجه مولاي أيدده الله تعالى إليكم ولذكُم الزعيم

الأنجد الأسعد المكرم عنده الأثير لديه مراعاة لكم
 جاقمة مع ثقته الشيخ الأمين المكرم الأفضل الحاج
 أبي يعقوب يوسف بن الحوزاء للحديث معكم في
 شأن عقد الصلح بينكم وبينه، على نحو ما
 تضمنته العقود الواصلة إليكم صحتيهما. واسمعوها
 لحديثيهما وقفوا على العقود التي بأيديهما واعلموا
 أنني قررت عند مولاي أيداه الله وفاءكم وعرفته وهو
 العارف أيداه الله عنكم. وتحققوا أنني لكم كما
 تحبون، مجتهد فيما يتجهد لكم عندي من
 الحوائج^(١) على سبب ما تريدون إن شاء الله
 تعالى.

(١) - في الأصل: الحوائج [كذا]. الحوائج جمع حاجة. أي طلب قضاء
 شأن خاص.

وقد ألقينا في ذلك لولدكم الأنجد جاقمة
 وللأمين الحاج أبي يعقوب بن الحوزاء ما يلقيانه
 إليكم ويقرانه (Sic) لديكم إن شاء الله تعالى.

والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب في سابع عشرة لرجب الفرد عام سبعة
 وعشرين وسبعمائة.

- التحليل -

يؤكد السلطان في هذه الرسالة صداقته ومحبة الملك أراغون ووفاءه للمودة القائمة بينهما ويعلمه أنه أرسل هذا الكتاب مع أحد ثقاته والمقربين إليه الحاج أبي يعقوب يوسف بن الحوراء الذي كان أرسله في مهمات مماثلة وكذلك مع ابن جاقمو الثاني جاقمو المعروف باللقيط والذي كان عينه والده سفيرا له بتلمسان وراعيًا لمصالح القطلانيين بها. ولقد توفّق جاقمو إلى ربط علائق صداقة مع سلطان تلمسان. لذلك أرسله هذا الأخير مع رسوله ابن الحوراء لمناقشة عقد الصلح ومختلف بنوده ويذكر له الحاجب هلال بن عبد الله أنها حملا معها العقود المقترحة للنظر فيها والمتضمنة لما يرغب فيه جاقمو الثاني.

وفي القسم الأخير من الرسالة يطمئن هلال ملك أراغون بأن الأمور تجري كما يريد وأنه سيكون مخلصا له مجتهدا في خدمته وتحقيق ما يريده من الحوائج فيقول: "إني لكم كما تحبون مجتهد فيما يتجّه لكم عندي من الحوائج على سبب ما تريدون".

- التعليق -

نرى في هذه الرسالة الوزير هلال بن عبد الله يربط صداقة خاصة بملك أراغون ويلتزم بخدمته. ويعلمه في هذا الكتاب أن الأمور تسير على حسب ما يريد. وأنه مجتهد في تحقيق رغباته وإقناع السلطان بذلك وبما يكتنه له جاقمو الثاني من محبة وتقدير. وأكد له أن جاقمو اللقيط ابن الملك يعلم ذلك وسيتولّى إطلاعه مشافهة على ما يقوم به من عمل لصالح التاج الأراغوني.

ونتساءل: هل كان سلطان تلمسان على علم بحقيقة هذه العلاقة ؟ وهل هذا الموقف هو مجرد تكتيك؛ وخدعة؟ أم هي خيانة لسيّده السّلطان ولبلده تلمسان حقاً ؟

وعلى كلّ يتّضح من كلّ هذه العلائق المتداخلة الحميمة تارة والعائنية أخرى طغيان الناحية الذاتية وما توفّره من الفوائد المصلحية.

4 - وثيقة رقم 91

التقديم

هذه الرسالة التي تحمل رقم 91 بتاريخ 24 ربيع الثاني - بدون ذكر سنة الإرسال التي قد تكون كما بيّنا أسفله في حدود سنة 1323 - 1324م - قبل إبرام سلطان تلمسان عقد الصّح مع جاقمو الثاني سنة 1327م، وقبل وفاة هذا الملك النّصراني سنة 1327م. وكان قد اعتلى عرش أراغون سنة 1291م.

ولقد وجّه السّلطان عبد الرّحمان بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيّان صاحب تلمسان إليه رسالة يُعلّمه فيها بوصول كتابه مع رسوله ومفوّضه. وهي مسجّلة بالأرشف الأراغونيّ في قسم الأرشف الأندلسيّ (ج 3 سفر 1 ص 97).

السُّلْطَانُ الْأَجَلُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَرْفَعُ الْأَكْمَلُ دُونَ
جَاقِمَةَ سُلْطَانِ أَرَاغُونِ وَبَلَنْسِيَّةِ وَسَرْدَانِيَّةِ وَقَرْشَقَةِ^(١)
وَبِرْشَلُونَةِ، أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْعَدَهُ لِمَا
يُحِبُّ^(٢) وَيَرْضَاهُ، مُؤَثِّرُ تَكْرَمَتِهِ وَبِرِّهِ الْعَالَمُ
بِكَبِيرِ مَنْصَبِهِ وَقَدْرِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُوسَى بْنِ
عُثْمَانَ أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِهِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ
الْهُدَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَعَبْدِهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُ [كَتَبْنَا] إِلَيْكُمْ

(١) - المقصود: كورسكة

(٢) - أخلاقاً طيبة - بين ممتقنين ليستقيم المعنى.

مِنْ حَضْرَةِ بِلْمَسَانَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَنَحْنُ نَحْمَدُ
اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي لَا شَيْءَ كَمَثَلِهِ وَنَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي
أَمْرِنَا كُلِّهِ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ.
وَعِنْدَنَا لِجَانِبِكُمْ الْمَرْفَعِ تَكْرُمَةٌ نَسْتَوْفِيهَا وَمِيزَةٌ
نَنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِيهَا. وَعَلَّمْنَا بِمَحَلِّكُمْ الشَّهِيرِ
وَمَكَانِكُمْ الْكَبِيرِ يَسْتَعْدِي الزِّيَادَةُ مِنْ ذَلِكَ
وَيَقْتَضِيهَا.

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ مَعَ إِسْرَائِلِكُمْ. وَوَقَفْنَا عَلَى^(١)
مَقَاصِدِكُمْ فِيهِ وَمَذَاهِبِكُمْ الَّتِي تَخْصُرُ السُّوَدَ
وَتَسْتَوْفِيهِ، عَلَى مَا ذَلَّ مِنْكُمْ عَلَى حِفْظِ الْقَدِيمِ
وَالْتِمَادِي فِي الْأَسْبَابِ الْمَاضِيَةِ عَلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ.

(١) - في الأصل: في [كذا]. أبدلناها بـ: على

وَمَثَلُكُمْ مَنْ جَرَى عَلَى هَذِهِ السُّنَنِ الْمَلُوكِ^(١) وَانْتَهَى إِلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَّةِ الْمُلُوكِ. وَنَحْنُ عَامِلُونَ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوَاصِلَةِ وَالْوِدَادِ وَتَجْدِيدِ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَسْلَافِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَعَلَى أَنْ تَكُونَ بِلَادُنَا كِبْلَادِكُمْ وَتَجَرُّوا عَلَى أَغْرَاضِنَا وَمُرَادِنَا وَتَجْرِي عَلَى أَغْرَاضِكُمْ وَمُرَادِكُمْ. وَأَسْبَابُ الصَّدَاقَةِ بَيْنَ السُّلَاطِينِ مَعْلُومَةٌ وَحُدُودُهَا مَرْسُومَةٌ مَوْسُومَةٌ.

وَأَمَّا مَا أَشْرَرْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَسْرِيحِ جَمِيعِ مَنْ عِنْدَنَا مِنَ الْأَسَارَى فَذَلِكَ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كَمَا لَا يُمَكِّنُ لَنَا أَنْ نَطْلُبَ مِنْكُمْ تَسْرِيحَ مَنْ عِنْدَكُمْ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ لِأَنْ^(٢) تَعْلَمُوا أَنْ مَا عَمَرَ

(١) - ما بين معقلين زيادة مما ليستقم التركيب.

(٢) - ما بين معقلين زيادة مما ليستقم التركيب.

نَا إِلَّا الْأَسَارَى وَأَكْثَرُهُمْ صُنَاعٌ مُتَفَنُّونَ فِي أَنْوَاعِ جَمِيعِ الصَّنَائِعِ^(١)، وَلَوْ طَلَبْتُمْ مَا يُسْتَعْنَى بِهِ الْحَالُ فِي تَسْرِيحِ^(٢) خَمْسَةِ أَوْ سِتَّةِ نَاسِغِنَا إِلَيْكُمْ وَقَضِينَا إِرْبَكُمْ^(٣). وَأَمَّا تَسْرِيحُ الْجَمِيعِ لِحَبِّ الْآنَ. ذَلِكَ يُخْلِي الْمَوَاضِعَ وَيُعْطِلُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الصَّنَائِعِ. فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونَ الصَّدَاقَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي مَا عَذَا الْأَسْرَى^(٤) وَيَكُونَ حَالَنَا وَحَالَكُمْ وَاحِدًا فِي مَا نَحْتَاجُ أَوْ تَحْتَاجُونَ

(١) - في الأصل: الصنائع [كذا]. الصنائع: الحرف والهنن اليدوية التي تحتاج إلى مهارات فنية.

(٢) - التسريح: إطلاق الأسرى.

(٣) - الإرب: الطلب أو الرغبة أو الحاجة.

(٤) - في الأصل: الأسارى [كذا].

إِلَيْهِ مَنْ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ^(١) الَّتِي تُمْكِنُ، وَمِنْ سُرْحَةٍ^(٢)
أَوْ غَيْرِهَا فَتَحْنُ نَعْمَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ،
وَنَسْأَلُكَ فِي مَوَدَّتِكُمْ وَصِدَاقَتِكُمْ أَنْهَجَ الْمَسَالِكِ.
فَاعْلَمُوا ذَلِكَ. وَاللَّهُ يُسَعِّدُكُمْ بِرِضَاهُ وَيُدِيمُ كَرَامَتَكُمْ
بِتَقْوَاهُ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ
وَالْبَرَكَةُ.

[كُتِبَ] ^(٣) فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ لِرَبِيعِ الثَّانِي عَامٍ
.....^(٤)

(١) - فِي الْأَصْلِ: الْحَوَائِجِ. [كَذَا]

(٢) - سُرْحَةٌ: إِطْلَاقُ سَرَّاجِ الْأَسْرِ

(٣) - مَا بَيْنَ مَعْقِلَيْنِ زِيَادَةٌ مِمَّا لَيْسَتْكَمُ التَّرَكِيبِ.

(٤) لم يُذَكِّرِ التَّأْرِيخُ خَاصَّةً السَّنَةَ فَلَقَدْ أُرْسِلَتْ يَوْمَ 24 رَبِيعِ الثَّانِي وَتَعْلَمُ
أَنْ جَاقَمُوا الثَّانِي كَانَ مَلِكُ أَرَاغُونِ مِنْ سَنَةِ 1291م إِلَى سَنَةِ 1327م.
فَلَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ حُزِرَتْ فِي سَنَةِ 1327 مِثْلَ رِسَالَتِ أُخْرَى أَرْسَلَهَا
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ إِلَى سُلْطَانِ تِلِمَسَانَ فِي الْمَوْضِعِ نَفْسِهِ

التَّحْلِيلُ

يؤكد سلطان تلمسان في هذه الرسالة استعداده لدعم
أواصر الصداقة والتعاون والتقارب التي ذكرها ملك
أراغون في كتابه، وأخبر عن أمه في أن تتجدد علائق
المودة التي كانت قائمة بين الأسلاف.

ثم ينتقل إلى الموضوع الأساسي وهو طلب جاقمو
الثاني من السلطان تسريح كامل الأسرى النصارى
الموجودين بتلمسان. فيعتبر السلطان الزباني عن
استحالة تمكنه من تلبية مثل هذا الطلب لعدم قدرة
تلمسان الاستغناء عن هؤلاء الأسرى النصارى الحاذقين
كل الصنائع والحرف التي يحتاجها إعمار تلمسان.
"فأكثروهم صناع ماهرون متخصصون في جميع أنواع
الحرف... فأخلاؤهم يعني تعطيل ما يحتاج إليه من
أنواع الصنائع".

لذلك يقترح عليه - مرضاة له - تسريح خمسة أشخاص أو ستة يمكن أن يقترحهم عليه ملك أراغون.

ويعبر في آخر الرسالة عن استعداده لقضاء الحوائج الأخرى التي قد يحتاجها الملك ويطلبها منه.

- التعليق

نلمس من هذه الوثيقة التاريخية والاجتماعية الهامة دور الأسرى النصارى في تلمسان والبلاد المغاربية، فهم يُستعملون لإعمار البلاد ولنشر مختلف الصنائع والحرف التي يحتاج إليها المسلمون، والتي كان هؤلاء مثل الأندلسيين يتقنونها. لذلك لم يكن بالإمكان الاستغناء عنهم أو حتى مُقايضتهم بأسرى مسلمين. ويذكر السلطان صراحة أنه لا يمكنه أن يطلب من الملك "تسريح" مَنْ عِنْدَهُ [من] أسرى المسلمين. ويعترف أن ما عمّر بلاده إلاّ الأسرى.

ونرى اليوم خطورة مثل هذا السلوك ومنافاته أبسط مبادئ الإنسانية وحقوق البشر وكرامتهم مهما كان متقدم. ولئن كان لا يحقّ لنا أن نتحدث عن الحقوق الإنسانية في هذا التاريخ الوسيط فلا ننسى أن الدين الإسلامي أقرّها ودافع عنها منذ القرن السابع الميلادي أي منذ عهود الإسلام الأولى.

ونلاحظ كيف أن الصداقة بين البلدين ممكنة والعلاقة كان يمكن أن تتحسن وتتدعم بشرط أن لا يعود التاج الأراغوني إلى ذكر مثل هذا الموضوع للسلطان.

ونرى أخيرا كيف أن ملك أراغون جاقمو الثاني يعتبر كل الأسرى النصارى من رعاياه ودوره أن يتولى الدفاع عنهم ويعمل على تحريرهم للرسالة الدينية التي يعتبر نفسه مسؤولا عنها. ولقد كلفه بذلك فعلا البابا

وَأَلَحَّ عَلَيْهِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً. كَمَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ "مَاسْ لَاتَرِي" فِي "مَعَاهِدَاتِهِ" وَ"دُفُورِكَ" فِي دِرَاسَتِهِ. وَقَدْ طَلَبَ الْبَابَا مِنْ الْمَلِكِ أَنْ يَمْعَلَ شَتَّى الْوَسَائِلِ مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرِ الْأَسْرَى النَّصَارَى. وَلَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ جَاكَمُو الثَّانِي فِي رِسَالَةٍ مِنْ رِسَائِلِهِ لِسُلْطَانِ تَلْمَسَانَ مَبْدِئًا لِحَاجَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ.

وَفِي الْوُثِيقَةِ رَقْمُ 95 يَذْكُرُ السُّلْطَانُ قَوْلَ رَسُولِ جَاكَمُو الثَّانِي فِي أَمْرِ الْأَسْرَى النَّصَارَى: "وَلَمْ يَكُنْ عُذْرُهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ بِأَمْرِ الْبَابَا لِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّصَارَى مِنْ عَهْدٍ".

وَيَتَأَكَّدُ لَنَا مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ تَدَخُّلُ الْبَابَا فِي سِيَاسَةِ مُلُوكِ النَّصَارَى وَضَغْطُهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا يَهْمُ عِلَاقَتَهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ وَخَاصَّةً بِتَلْمَسَانَ وَإِفْرِيقِيَّةَ إِلَى جَانِبِ الْأَنْدَلُسِ.

وَنَسْتَنْتِجُ أَخِيرًا قِيَمَةَ الدَّورِ التَّعْمِيرِيِّ لِلْأَسْرَى النَّصَارَى فِي إِعْمَارِ تَلْمَسَانَ وَتَنْمِيطِهَا، وَالْحَاجَةُ الْمُلْحَّةُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى، لِذَلِكَ كَانَ التَّشْجِيعُ عَلَى الْقَطْعِ وَالْقِرْصَةِ كُلَّمَا دَعَتْ الْحَاجَةُ لِذَلِكَ. وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى سَاحِبِ تَلْمَسَانَ، كَمَا هُوَ الشَّانُ أَيْضًا عَلَى مَلِكِ أَرَاغُونِ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُ عَلَى الْقَطْعِ لِإِكْرَاهِ السُّلْطَانِ عَلَى قَبُولِ الْمَلِّحِ، حَسَبَ شُرُوطِهِ وَإِمْلَاقَاتِهِ، وَلِمَحَاوَلَةِ مِبَادَلَةِ بَعْضِ الْأَسْرَى النَّصَارَى الْهَامِّينَ مِنْ عَائِلَةِ الْبِلَاطِ وَحَامِيَتِهِ بِأَسْرَى مُسْلِمِينَ.

نص الرسالة

مَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ
يُغْمَرِاسِينَ بْنِ زَيْدَانَ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُ بِمُعُونَتِهِ
وَيَسِّرَهُ إِلَى السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَفْضَلِ الْأَكْرَمِ
الضَّرْغَامِ^(١) الْأَفْحَمِ الْأَضْحَمِ الْفُنُسِ^(٢) ابْنِ السُّلْطَانِ
الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الْأَفْضَلِ الضَّرْغَامِ الْأَضْحَمِ الْأَفْحَمِ دُونَ
جَانِقُمُو صَاحِبِ أَرَاغُونَ وَبَلَنْسِيَّةٍ وَسَرْدَانِيَّةٍ. سَلَامٌ
عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ وَرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ أَنَّهُ يَصِلُكُمْ الشَّيْخُ
الْفَارِسُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَفْضَلُ الْكَبِيرُ الشَّهِيرُ أَبُو

٩٥ - الوثيقة رقم 92

- التقديم

هذه الوثيقة رسالة بعث بها عبد الرحمن بن
موسى بن عثمان بن يغمراسين بن زيدان سلطان تلمسان
إلى الفونس الرابع ابن الملك جاقمو الثاني الذي خلف
أباه على عرش أراغون بتاريخ 4 رجب سنة 730 هـ
الموافق ليوم 14 ماي من سنة 1330م يعلم فيها بإرسال
سفير له ومعه كتب ليتعرف على ما فيها.

(١) - في الأصل: الضرغام. [كذا].

(٢) - في الأصل: ألفنس [كذا].

عمران موسى ابن الشيخ الأجل الأعز الأرفع الأكرم الأشهر أبي عنان فارس بن حريز صحبة أخيك⁽¹⁾ (Sic) القائد الأضخم الأفخم دون جاقمو وصحبتهما الشيخ الأجل المكرم الفاضل أبو يعقوب يوسف المعروف بابن الحوزاء وبأيدي المذكورين من الكتب ما تقفون⁽²⁾ (Sic) عليها وتتعرفون⁽³⁾ ما عندنا منها إن شاء الله تعالى. والله الموفق للصواب والمعين عليه. والسلام على من اتبع الهدى (Sic) ورزقه الله تعالى وبركاته.

وكتب في اليوم الرابع من شهر رجب الفرد الذي هو من عام ثلاثين وسبعمائة.

(1) - في الأصل: أخوكم [كذا] وهو جاقمو اللقيط

(2) - في الأصل: تافقوا. [كذا].

(3) - في الأصل: وتتعرفوا. [كذا].

٥ - التحليل

بعث السلطان الزياتي عبد الرحمن هذه الرسالة مع الفارس القائد أبي عمران موسى ابن الشيخ أبي عنان فارس بن حريز أحد وزرائه صحبة أخ الملك جاقمو اللقيط ابن جاقمو الثاني السفير الدائم بتلمسان - كما كنا رأينا آنفا - ومعهما الحاجب ابن الحوزاء أبو يعقوب يوسف الذي كان أرسل في مهمة معاملة إلى جاقمو الثاني. وقد أسلمهم كتباً ليطلعوا عليها ألفونس الرابع ويعرفوه بما في مضمونها وما يطلبه السلطان الزياتي من تعاون وتحالف فيما يبدو ضد الأعداء الحفصيين والمرينيين. وهو لا يفصح عن ذلك في هذه الرسالة. لكننا نعلم في مراسلات أخرى وفي وثائق

الأرشيّف التّحالف الذي تمّ بينهما ضدّ المرينيّين
المهدّدين للنّصارى وضدّ الحفصيّين أنصارهم.

- التعليق

يتأكّد لنا الدّور الهامّ الذي كان يلعبه جاقمو ابن
الملك جاقمو الثّاني في بلاط تلمسان والعلائق الحميمة
التي كان يربطها بالسلطان، وبالسّياسة النّاجحة التي
استطاع نسجها بين البلديين وإرساءها بين الدّولتين
والموجّهة خاصّة ضدّ الأعداء والمنافسين المسلمين:
المرينيّين والحفصيّين. فللمرّة الثّالثة نرى السلطان يكلف
جاقمو بمهمّة لدى أبيه الملك لعقد الصّلح سنة 1327م
مع جاقمو الثّاني وفي هذه المرّة لإقامة تحالف خطير
ضدّ المرينيّين⁽¹⁾.

(1) أنظر ابن خلدون. ج. 6. فصل المرينيّين.

(6) - وثيقة رقم 95

- التّقديم

هذا الكتاب مؤرّخ بتاريخ 24 ذي الحجة من سنة
746هـ الموافق لـ 17 أفريل من سنة 1346م. أرسله
السلطان عليّ بن سعيد بن أبي يوسف من تلمسان إلى
بترو الرّابع ملك أراغون، بعد عشرة أشهر من إمضائهما
لعقد الصّلح في جوان من سنة 1345م. ويخصّ بعض
طلبات بترو الرّابع المتعلّقة بالنّصارى الميورقيّين الذين
ماتوا في بعض الغارات في عهد ملك ميورقة السّابق
جاقمو ديمنجابر، أو التي حدثت مدّة الصّلح مع بترو
الرّابع ملك ميورقة.

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ابْنُ مَوْلَانَا أَمِيرِ
الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي
يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ سُلْطَانَ فَاسٍ وَمَرَاكِشَ
وَسِجِلْمَاسَةَ وَسَبْتَةَ وَتِلْمَسَانَ وَمَكْنَاسَةَ وَتَازِي وَسَلَا
وَأَنْفِي وَأَزْمُورَ وَأَسْنِي وَالْقَصْرَ وَطَنْجَةَ وَأَصِيلا
وَوَهْرَانَ وَحَنِينَ⁽¹⁾ وَمِلْيَانَةَ وَالْمَدِيدَةَ وَالْجَزَائِرَ وَمَا إِلَى
ذَلِكَ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ. أَيَّدَ اللَّهُ
أَمْرَهُ وَأَعَزَّ نَصْرَهُ. إِلَى السُّلْطَانِ الْمُكْرَمِ الْأَسْنَى أَنْبِيرِ
سُلْطَانِ أَرَاغُونِ وَبَلَنْسِيَّةِ وَمِيُورْقَةَ وَسَرْدَانِيَّةِ

(1) - في الأصل: هنين [كذا].

مَرْسِيَّةِ⁽¹⁾ وَقُنُطِ⁽²⁾ بَرْشُلُونَةَ وَالرُّسْلَيُونَ وَسَرْدَانِيَّةِ
سَلَامٌ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ.

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةُ التَّامَّةُ عَلَى
بِدْنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى
وَالرَّضَاءُ عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامِ
الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الْهُدَى، وَالْدُّعَاءُ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَلِيِّ
الْعَزِيزِ الْعَلَوِيِّ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَنْزِلِنَا الْأَسْعَدِ بِبُيْرِهِ مِنْ حَوْزِ
الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ مَنْصُورَةِ تِلْمَسَانَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى
وَلَا مُتَزَايِدٌ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا الْخَيْرُ الْأَتَمُّ
وَالْيُسْرُ الْأَعْمُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا.

(1) - في الأصل: قرصة [كذا]. كورسكة.

(2) - في الأصل: قسط [كذا].

وَالِي هَذَا فَإِنَّهُ وَصَلَ التَّاجِرُ أَرْنَاوُدَ قَادِرْشُ
بِكِتَابٍ عَلَيْهِ طَابَعُكُمْ تَذَكُّرُونَ فِيهِ أَنَّكُمْ بَعَثْتُمُوهُ فِي
شَأْنِ فُضُولٍ لِأَهْلِ مَيُورَقَّةَ كَانَتْ فِي مُدَّةٍ صَاحِبِ
مَيُورَقَّةَ جَاقِمَةُ دِمْنَجَلِيرِ الَّذِي كَانَ بِهَا قَبْلَكُمْ. وَقَدْ
اسْتَظْهَرَ بِمَسَائِلِ^(١) تَشْتَمَلُ عَلَى نَوْعَيْنِ أَحَدُهُمَا
شِكَايَاتُ بَعْضِ الْمُغِيرِينَ^(٢)، مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ وَمِنْهُمْ
مَنْ فَقَدَ فِي الْمَغَاوِرَةِ. زَعَمَ أَرْنَاوُدُ أَنَّهَا كَانَتْ فِي
زَمَنِ صَلَاحٍ مَعَ صَاحِبِ مَيُورَقَّةَ الْمَذْكُورِ فِي ذَلِكَ
التَّارِيخِ، وَمِنْهَا مَسَائِلُ زَعَمَ أَنَّهَا وَقَعَتْ الْآنَ فِي
زَمَنِ الصُّلْحِ مَعَكُمْ وَقُلْتُمْ إِنَّهُ يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَكْتُبُوا فِي

(١) - فِي الْأَصْلِ: بِمَسَائِلِ [كُنَّا].

(٢) - فِي الْأَصْلِ: لِلْمَغَاوِرِينَ [كُنَّا].

حَقِّ نَاسِكُمْ^(١) وَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا الْكَلَامَ فِي
شَأْنِهِمْ. وَهَذَا الَّذِي قُلْتُمْ مِنْ قَضِيَّةِ الْكُتُبِ وَالْكَلامِ
فِي حَقِّ الرِّعْيَةِ إِنَّهُ وَاجِبٌ بِذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَكِنْ
تَعْلَمُونَ أَنَّ كِبَارَ النَّاسِ - وَأَوَّلَى بِذَلِكَ السُّلَاطِينُ -
يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُحَقِّقُوا الْمَسَائِلَ الَّتِي تُرْفَعُ لَهُمْ،
وَحِينَئِذٍ يَكْتُبُونَ بِمَا لَا مَدْفَعَ فِيهِ. وَنَحْنُ نَعْلَمُكُمْ أَنَّ
الْمَسَائِلَ الَّتِي كَانَتْ فِي مُدَّةِ جَاقِمَةِ الْمَذْكُورِ حِينَ
كَانَ بِمَيُورَقَّةَ قَدْ كَانَ كَتَبَ فِيهَا إِلَيْنَا وَرَاجَعْنَاهُ،
وَبَعَثَ إِرسَالَهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ حَتَّى وَقَفْتَ عَلَيْهِمْ
الْحُجَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ عُدْرُهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ بِأَمْرِ
الْبَابِ لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّصَارَى^(٢) مِنَ الْعَهْدِ فِي

(١) - نَاسِكُمْ: (هَذَا) وَمَا يَكُم.

(٢) - فِي الْأَصْلِ: النَّصْرَى [كُنَّا].

ذَلِكَ. وَرَغِبَ أَنْ نَسْمَحَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ نَسْمَحْ لَهُ فِيهِ. وَقَدْ وَافَقَ أَرْشَاؤُ الدُّكُورِ عَلَى قَضِيَّةِ نَقْضِ الصُّلْحِ.

وَأَمَّا الْمَسَائِلُ الَّتِي زَعَمَ أَنَّهَا فِي الصُّلْحِ مَعَكُمْ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ الصُّلْحَ إِنَّمَا كَانَ الْكَلَامَ فِيهِ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ الْأَجَلِ مُحَلٍّ وَلَدَنَا أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ الْأَحْمَرِ. وَإِنَّا أَسْعَفْنَاهُ بِذَلِكَ نَظَرًا لِلْمَصْلَحَةِ الَّتِي رَغِبَ فِيهَا. وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُهُ الْآنَ يَقُولُ إِنَّهُ بَعَثَ لَكُمْ فِي أُمُورِ الصُّلْحِ الدُّكُورَ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ رَسُولُهُ بِشَيْءٍ يَخْلُصُ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّهُ يَبْعَثُ إِلَيْكُمْ رَسُولَهُ مَرَّةً أُخْرَى. فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهَا ذِكْرَتُهُمْ وَفِيمَا بَإَهْلِ بِلَادِنَا مِنَ الْمَطَالِبِ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ، حَتَّى تَنْفَصِلَ الْقَضِيَّةُ مِنْ كَلَامِ

الْجَانِبَيْنِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْوَفَاءُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْمَلَ فِيهَا مِنَ الْخِلَاصِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ كَانَ غَرَضُكُمْ فِي الصُّلْحِ مَعَ جَانِبِنَا بَغْيٌ وَاسْطَافَةٌ فَتَبْعُثُونَ^(١) مِنْ كِبَارِ نَاسِكُمْ مَنْ يُعْتَبَرُ وَيُتَكَلَّمُ مَعَهُ فِي ذَلِكَ [الْأَمْر]^(٢) وَيُمْضِي فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ لِلْجَانِبَيْنِ وَفِيهِ الْخَيْرُ لِزَعِيَّةِ الْجِهَتَيْنِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ. وَالسَّلَامُ يُرَاجَعُ سَلَامُكُمْ.

وَكُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ لِذِي [الْحِجَّةِ] خَاتَمَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.
وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُرُخِ بِهِ.

(١) - في الأصل: فتبعثون [كذا]: أي المطلوب منكم أن تبعثوا.

(٢) - الزيادة مما ليستقيم التركيب

١ - التحليل

بعد عشرة أشهر من إبرام عقد الصلح سنة ١٣٤٥م تولى ملك أراغون بترو الرابع يعود إلى طلباته الخاصة بالأسرى وبإطلاق سراحهم وبالتعويضات التي طالب بها سلفه ملك ميورقة ويواصل هو المطالبة بها.

فلقد أرسل ملك أراغون التاجر ارناود قادريش بكتاب للسلطان المريني: سلطان تلمسان في آن واحد والأندلس، يثير فيها المشاكل وينقل شكايات بعض أهل المغيرين ومطالبتهم بالتعويض. وكانت هذه الحادثة حصلت قبل إمضاء السلطان علي وملك ميورقة السابق على العقد ولذلك يعتبر السلطان أنه لا يسري عليها الصلح الجديد.

أما المسائل التي حدثت حسب ملك أراغون، مدة الصلح فيعتبر السلطان في لهجة صارمة شديدة أنه يحق له وللسلطين أن يتدخلوا في كل ما يهم أهل بلادهم

أما عليهم أولاً أن يثبتوا مما يُروى لهم وأن لا يتقدموا إلا بما تأكد لديهم، وأن لا يكتبوا غيرهم وأن لا يتدخلوا إلا فيما هو صحيح وموثوق منه. ويؤكد السلطان المريني علي أن صاحب ميورقة القديم كان كاتبه في الموضوع مرات وأرسل سفراء في شأنه. ولم يثبت له شيء بل يقول: "وقفت عليه وعلى أهله الحجة ولم يظهر لهم حق". فأهله هم الذين أغاروا على الجبل ونزلوا بالزقاق^(١). فحدث لهم ما حدث وأسير منهم من أسير. واعترف ملك ميورقة أنه لا حق له في الأمر، ولكنه تدخل بسبب إلحاح البابا عليه دفاعاً عن النصارى. واعترف أن من نقض الصلح هم الميورقيون.

وأما فيما يخص المسائل التي تمت بعد إمضاء عقد الصلح فيبين السلطان أن ولده أبا الحجاج بن الأحمر هو الذي ناقش العقد وأبرمه وأرسل ملك أراغون رسوله

(١) - المقصود بالزقاق: زقاق جبل طارق.

نَاسِكُمْ^(١) من يُعتبر ويُتكلّم معه في ذلكم ويمضي فيه إن شاء الله".

- التعليق

نلاحظ أنّ القطع والإغارة حدثا أثناء الصّح، فالقرصنة لا تتوقّف والحرب تتمّ بطريق غير مباشرة بواسطة القراصنة. ولا تكون الحرب رسميّة ومعلنة بل يقوم بها الملوك والسلاطين عن طريق القطع بتشجيع منهم للحصول على الأجفان من ناحية وعلى الأسرى العبيد الذين يتمّ بيعهم واستغلالهم لتحقيق مآرب أخرى من ناحية ثانية. وعقود الصّح كانت توقّر ولا شكّ مناخا من الأمن والاطمئنان للتّجار وأصحاب السفن والأجفان لكنّها لا تضمن الأمن المطلق وخاصّة عند ظهور بعض المشاكل أو بروز بعض التّحالفات الجديدة.

(١) - ناسكم : أعيانكم وحاشيتكم.

يطلب عقد الصّح فلم يعد بشيء. وهذا يعني أنّ الصّح لم يُبرم. ويبيّن أنّه على استعداد للعمل فيما يخصّ رعايا أراغون ورعايا السّلطان على حدّ السّواء في حال الموافقة على الصّح وإرسال النّسخة ممضاة. ففي هذه الصّورة يتمّ فصل كلّ القضايا القائمة بما يُرضي الطّرفين ويتماشى مع بنود الصّح.

ويطلب السّلطان أخيرا من ملك أراغون أن يبعث أحدًا من كبار ثقاته المقربين مباشرة بدون واسطة ليُمضي الطّرفان على العقد.

وكأنّنا به يقصد بعدم واسطة أن يتمّ العقد بينه وبين ملك أراغون بدون واسطة ابنه ليناقش بنفسه بنوده ويمضيّه يقول السّلطان: "وإن كان غرضكم في الصّح مع جانبنا بغير واسطة فتبعثون من كبار

ونستنتج أيضا أَنَّ ملك أراغون يحاول تحقيق مطالب قديمة وإثارة مشاكل سبقت الصّح على أَنَّها تهّم بلدا تابعا له : ميورقة التي لم يكن لها عقد صلح مع المرينيّين وقتئذ. فهو يتجاهل الأمر ويحاول ابتزاز السلطان المرينيّ.

فنرى هذا السلطان يتفصّل من المسؤولية لأنّه لم يعقد الصّح مع ملك أراغون مباشرة بل كان عقده مع ولده سلطان غرناطة. وإن كان سبق أن أعلن في مناسبة سابقة موافقته عليه.

فالابتزاز دوما قائمٌ ومحاولات التّفصّي من العقود المبرمة دوما مطروحة، فعقد الصّح يرجع له عند الحاجة ويقع تجاوزه عند الضرورة، والبحث عن الغدّر دوما يسيرٌ وفي متناول الطرفين.

70 - الوثيقة رقم 96

- التّقديم

هذه الوثيقة التي تحمل رقم 96 في أرشيف التّاج الأراغونيّ تمثّل كتابا للسلطان عليّ بن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يوسف المرينيّ الذي أصبح سلطان تلمسان بعد افتكاكها من السلطان الزيّانيّ ابن عبد الواد ومحاصرتها يُعلم فيه ملك أراغون بترو الرّابع الذي خلف أباه ألفونس الرّابع بموافقته على معاهدة الصّح التي عقدها السلطان يوسف أبو الحجاج ملك غرناطة وحبّ السلطان عليّ بن سعيد مع بترو الرّابع ملك أراغون يوم 15 صفر من سنة 746هـ الموافق لـ 17 جوان من سنة 1345م.

يَعْلَمُ مَنْ يَقِفُ عَلَى هَذَا الْمَكْتُوبِ الْكَرِيمِ أَنَا عَبْدُ
اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
أَبِي سَعِيدِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ
عَبْدِ الْحَقِّ سُلْطَانَ مَرَاكِشَ وَفَاسَ وَبِجِلْدَةَ وَتَرْغَةَ
وَأَسْنَى وَأَزْمُورَ وَسَلَا وَمَكْنَاسَةَ وَطَنْجَةَ وَسَهْبَةَ
وَتَلْمَسَانَ وَوَهْرَانَ وَحَنِينَ⁽¹⁾ وَمَلْيَانَةَ وَالسَّمْدِيدَةَ⁽²⁾
وَالْجَزَائِرَ⁽³⁾ وَجِبِلَ الْفَتْحِ⁽⁴⁾ وَرَنْدَةَ. لَمَّا وَصَلْنَا كِتَابَ
مَحَلٍّ وَلَدَنَا السُّلْطَانُ الْأَسْنَى الْمُفَرِّجَ أَبِي الْحَجَّاجِ
صَاحِبِ غُرْنَاطَةَ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ

(1) علي بن السلفاني سيد عم السلطان الحسن بن أبي عبد الله

و(2) علي بن السلفاني سيد عم السلطان الحسن بن أبي عبد الله
و(3) علي بن السلفاني سيد عم السلطان الحسن بن أبي عبد الله
و(4) علي بن السلفاني سيد عم السلطان الحسن بن أبي عبد الله

(1) في الأصل: هُنَيْن [كذا]

(2) في الأصل: الدَّبِي [كذا]

(3) في الأصل: الْجَزَائِر [كذا]

(4) أَرَسَ الْكَتَابَ بَعْدَ تَحْقِيقِ تَهْجِيلِ طَارِقٍ وَرَنْدَةَ

سَحْبَةَ رَسُولِهِ الْقَائِدِ⁽¹⁾ الْمُكَرَّمِ عَلِيِّ بْنِ كَنْاشَةَ،
يُطْلَبُ بِنَا إِمْضَاءَ مَا عَقَدَهُ مِنَ الصُّلْحِ عَلَى يَدَيِ
رَسُولِهِ عَلِيِّ الْمَذْكُورِ مَعَ السُّلْطَانِ الْمُكَرَّمِ الْأَثِيرِ دُونِ
بَطْرِهِ⁽²⁾ سُلْطَانِ أَرَاغُونَ وَمَا إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ وَالْجُزُرِ
عَلَى بِلَادِ السُّلْطَانَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ وَبِلَادِنَا بِإِسْعَافِنَا
بِالْإِذْنِ فِي ذَلِكَ لِمَحَلٍّ وَلَدَنَا الْمَذْكُورِ. وَقَفْنَا عَلَى
مَضْمُونِ⁽³⁾ الْعَقْدِ الْمَذْكُورِ فَأَنْتَمَعْنَا بِإِمْضَاءِ الصُّلْحِ
الْمُسَمَّى الْمُتَعَقَّدِ عَلَى بِلَادِنَا الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ وَعَلَى
بِلَادِ السُّلْطَانَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، حَسْبَمَا طَلِبَهُ السُّلْطَانُ
دُونُ بَطْرِهِ⁽⁴⁾ الْمَذْكُورُ أَنْ نَضَحَّ ذَلِكَ الْعَقْدَ بِكِتَابِنَا
الْمُضْمِنِ التِّزَامَ الصُّلْحِ الْمَذْكُورِ بِشُرُوطِهِ وَرُبُوطِهِ إِمْضَاءً

(1) في الأصل: الْقَائِدِ [كذا].

(2) في الأصل: بَطْرِهِ. [كذا]. أي بطرو.

(3) في الأصل: مَضْمُونِ [كذا].

(4) - أي بطرو.

غرناطة والأندلس وهو المبرم للعقد. وطلب ضمان سلطان فاس نفسه وإمضاه حتى يكون العقد صحيحاً وناجراً وهو ما حصل فعلاً. وتعتبر هذه الفترة للدولة المرينية العهد الذهبي وأوج قوتها.

وبهتّم هذا العقد بالأسرى النصارى والمسلمين وما اتفق على تسريحه منهم، وعلى كراء الأجفان التي يريدها السلطان، والسلم بالأندلس، وجبل طارق، حتى يمكن له التفرغ لردّ هجومات ملك قشتالة ألفونس، وحتى يضمن عدم التحالف بين القطلانيين والقشتاليين والإشبيليين لاسترجاع غرناطة وجبل طارق، فالتنافس بين الملكين النصرانيين هو الذي شجّع على إمضاء مثل هذا الصلح والعمل على تحقيق السلم على سواحل المغرب الأوسط - وهران - حنين - الجزائر وغيرها لتنمؤ التجارة والعائدات الديوانية التي كان يطالب بها ملوك أراغون دائماً.

80 - الوثيقة رقم 111

- التقديم

هذه رسالة بتاريخ 4 ربيع الثاني من سنة 761 هـ الموافق لـ 23 فيفري من سنة 1360م من سلطان تلمسان موسى بن أبي يعقوب بن زيد بن أبي زكرياء بن أبي يحيى يغمراسن بن زيّان إلى ملك أراغون بـترو الرابع، تخصّ قطع بعض القطلانيين في مرسى وهران وإرساله سفراء عنه لإيجاد حلّ للمشكل وعقد صلح معه ومساند سرية أخرى. وقد كان بنو عبد الواد استرجعوا ملكهم بتلمسان من المرينيين بعد أن استولى عليها أبو الحسن السلطان المريني العظيم: والمتمثّل في كامل بلدان المغرب الأقصى والأوسط والأدنى الذي كان تحت سلطته في آخر أيامه. فبعد أن عاد من إفريقية ومنع أهل بجاية عنه الماء وغرقت أجفانه في البحر ونجا بنفسه ثم مرض في الطريق وثار عليه ابنه محاولاً الاستبداد بالسلطة.

من عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على
رب العالمين ابن الأمير أبي يعقوب ابن الأمير أبي
زيد ابن الأمير أبي زكرياء ابن مولانا أمير المسلمين
أبي يحيى يعمراسن بن زيان أدام الله له عزاً باهر
الأنوار ونصراً عالي المنار وسعداً رفيع المقدار إلى
السُّلْطَانِ الْأَعَزِّ الْأَمْنَعِ الْمُكْرَمِ الْمُرْفَعِ الْمُعْظَمِ الْمُبْجَلِ
الْمَوْثِرِ الْمَرْعِيِّ الْأَحْفَلِ الْأَنْوَهِ الْهَمَامِ الْبَظَلِ الْأَشْهَرِ
الْأَخْطَرِ مَلِكِ بَنِي الْإِفْرَنْجِ سُلْطَانِ أَرَاغُونِ وَبَلَنْسِيَّةِ
وَمِيُورْقَةِ وَسَرْدَانِيَّةِ وَقُورِسْغَةِ وَقَمْتِ بَرْشَلُونَةِ وَقَمْتِ
الرُّسْلِيُونِ وَقَمْتِ سَرْدِيَانَةِ دُنْ بِيَذَرُو أَسْعَدَهُ اللَّهُ
بِرِضَاهُ وَأَرْشَدَهُ إِلَى سَبِيلِ هَذَاةٍ وَأَكْرَمَهُ بِتَقْوَاهُ.

أما بعد، فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ هِدَايَةً
تُبْلِغُ نَيْلَ الْأَمَلِ وَالْأَمَالِ وَكَرَامَةً تَصْحَبُكُمْ فِي كُلِّ

سَالٍ. مَنْ حَضَرَتْنَا الْعَلِيَّةُ^(١) بِتَلَمَّسَانِ الْمُخْرُوسَةِ
وَنَحْنُ نَحْفَظُ اللَّهَ الَّذِي لَا شَيْءَ كَمُثْلِهِ وَنَلْجَأُ إِلَيْهِ
فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَ إِحْسَانِهِ
وَفَضْلِهِ. وَعِنْدَنَا لِجَانِبِكُمُ الْمُرْفَعِ تَكْرُمَةٌ نَسْتَوْفِيهَا
وَرِغَايَةٌ تَنْتَهِي إِلَى الْغَايَاتِ فِيهَا. وَعَلَّمْنَا بِمَحَلِّكُمْ
الشَّهِيرِ وَمَكَانِكُمُ الْخَطِيرِ يَسْتَدْعِي الزِّيَادَةَ مِنْ ذَلِكَ
وَيَقْضِيهَا وَإِلَى هَذَا أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ لِأَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ
وَوَالِي لَكُمْ الْخَيْرِ الْمُتَتَابِعِ الْمُتَعَاكِبِ.

فإِنَّا لَمْ نَزَلْ نَمْنَحْ مَنْ وَصَلَ مِنْ جِهَاتِكُمْ وَانْخَرَطَ
فِي سَلَكِ طَاعَتِكُمْ مِنَ التَّجَارِ الْمُتَرَدِّدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
ذَوِي الْحَاجَاتِ أَجْمَعِينَ وَنُوسِعُهُمْ إِحْسَانًا وَإِعْلَامًا
وَنُيَسِّرُ عَلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ مَطَالِبِهِمْ وَجَعَلْنَا مَأْرِبَهُمْ

(١) استعاد بنو عبد الواد تلمسان من المرينيين في آخر أيام السلطان أبو
الحسن بعد ثورة ابنه أبي عثمان عليه ورجوعه من تونس ومرقه في
الطريق.

إجمالاً وإكراماً، وَلَمْ تُضَيَّقْ عَلَيْهِمْ قَطُّ فِي جَمِيعِ مَا
أَرَادُوا أَنْ يُوسِقُوهُ لِبِلَادِهِمْ وَيَحْمِلُوهُ فِي صُدْرِهِمْ
وَأَيْزَادِهِمْ^(١) مِنْ زَرْعٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَقْضُونَ^(٢)
مِنْهَا الْوَطَرَ وَتَرْتَكِبُ فِيهَا فِي دِينِنَا الْخَطَرَ مُرَافَقَةً
لَهُمْ، فِيهِ أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ وَتَوَسَّعَتْ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ
عَلَيْهِمْ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ عَمِدْتُ طَائِفَةً مِنَ الْقَطْلَانِيِّينَ
فِي أَجْفَانِ مُعَدِّينَ إِلَى مَرْسَانَا الشَّهِيرِ مَرْسَى وَهْرَانَ
الْمَحْرُوسَةِ الْكَبِيرِ، وَحَمَلُوا مِنْهُ عَلَى جِهَةِ الْعَمَدِ
الْعُدُوانَ وَالْجَرَاجَةَ وَالْإِقْدَامَ وَهَتَكُوا حُرْمَةَ السُّلْطَانَةِ
وَحَقَّ الْإِسْلَامَ جَفَنًا مَوْسُوفًا بِالزَّرْعِ وَغَيْرِهِ لِلتُّجَّارِ
الْأَنْدَلُسِيِّينَ كَانُوا أَرَادُوا الْوُجْهَ بِهِ إِلَى بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْجَفْنِ بِمَا فِيهِ. وَذَكَرْنَا لَنَا

(١) المقصود بذلك التصدير والتوريد.

(٢) في الأصل : التي يقضونها منها [كذا].

أَنَّهُمْ كُلَّمُ الَّذِينَ حَمَلُوا الزَّرْعَ فِي الْقَرْقُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ
بِالْجِي^(١) الْقَطْلَانِيَّ، بَعْدَمَا وَصَلَ إِلَى بِلَادِكُمْ تَوَجَّهَ
تَلْقَاءَ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ.

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ هَذِهِ النَّازِلَةَ وَقَعَتْ وَأَحْوَالُ مَنْ
يُرِدُ عَلَيْنَا بِالْأَجْفَانِ تَشَتَّتَتْ وَتَشَعَّبَتْ^(٢) وَجَهْنَا لَكُمْ
الآنَ خَدِيمِنَا الْحِظِّيَّ لَدَيْنَا الشَّيْخَ الْمُكْرَمَ الْمُرْعِيَّ
الْوَجِيهَ الْحِظِّيَّ الْمُوقِرَ الْمُحَرَّمَ الْأَفْضَلَ الْأَكْمَلَ الْأَمْجَدَ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الشَّيْخِ الْمُكْرَمِ الْمُرْعِيِّ الْوَجِيهَ
الْحِظِّيَّ الْمَبْرُورَ الْمُوقِرَ الْمَرْحُومَ الْمُغْمَرَّ أَبِي الزُّبَيْرِ
طَلْحَةَ الْبَاتِلَشِيَّ — حَمَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كَاهِلِ
السَّلَامَةِ وَبَلَّغَهُ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ فِي حَالِي الْمَعْرِ
وَالْإِقَامَةِ وَوَالَى لَهُ الْخَيْرَ وَوَصَلَ لَهُ الْكَرَامَةُ —

(١) الجي : جن سريح خفيف.

(٢) في الأصل : تشتت وتشعبت [كذا].

وَأَوْدَعْنَاهُ مَا يُنْهِيهِ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقَاصِدِ الْإِكْرَامِ وَالْبِرِّ
الْمَوْفَرِ الْأَقْسَامِ لِيُخَاطِبَكُمْ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ وَيُطَالِعَكُمْ
بِمَا لَكُمْ عِنْدَنَا مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِقْبَالِ. عَلِمْنَا بِأَنَّ ذَلِكَ
يَسْتَنْزِلُ مِنْكُمْ مَنْزِلَةُ الْمَسْرَةِ وَيَرُدُّ عَنْكُمْ مَا يَكْفِي^(١) **﴿**
إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَوْصُولِ الْإِكْرَامِ وَالْمَسِيرَةِ. وَحَمَلْنَاهُ
مِنْ مَعْنَى الصَّلَاحِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَا يُلْقِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مُشَافَهَةً إِلَيْكُمْ وَمُحَاوَلَةً إِهْرَامِهِ وَالْمُقَاوَضَةَ فِي عَقْدِهِ
وِاحْتِكَامِهِ وَأَرَدْنَا مِنْكُمْ الْعِنَايَةَ بِأَمْرِهِ، وَأَنْ تَعَامِلُوهُ مَا
تُشْكُرُونَ عَلَى بَذْلِهِ وَمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ
لَنَا وَلَكُمْ فَشَيْءٌ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ وَلَا يَغِيبُ عَنْكُمْ
فَلْتَتَلَقُوا ذَلِكَ بِحَقِّهِ مَحْمُولًا عَلَى صِحَّةِ الْحَقِّ
وَصِدْقِهِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: يَكَالِي [كَذَا].

وَكُلُّ مَا يَرُدُّ مِنْ جِهَتِكُمْ فَوَارِدٌ عَلَى الْبِرِّ
وَالْتَّكْرَمَةِ فَتَنْتَهِي فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُتَمَعَّةِ وَرَأَيْنَا
أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَهَدَاكُمْ وَوَفَّقَكُمْ لِمَا يَرْضَى بِهِ
عَنْكُمْ مِنْ تَتْبِيعِ هَذَا الْمَقْصِدِ وَالْبُلُوغِ مِنْهُ إِلَى الْأَمْرِ
الْأَبْعَدِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَجَّهْنَا لَكُمْ أَيْضًا صُحْبَةَ رَسُولِنَا
الْمَذْكُورِ مَا يُلْقَى لَكُمْ مُشَافَهَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعْنَى هَذَا
الْكِتَابِ وَيُقَرَّرُ مَا عِنْدَنَا لَكُمْ مِنَ الْإِيْشَارِ الْمَيْسَرِ
الْأَسْبَابِ. وَهُوَ قَائِدُنَا الْكَبِيرُ الْمَرْعِيُّ الْخَطِيرُ الْمُكَرَّمُ
لَدَيْنَا الْمُنْقَطِعُ بِالْخِدْمَةِ إِلَيْنَا جُؤَانُ^(٢) بَرْمَجْلِسِينَ
الْقَطْلَانِيَّ أَنْجَدَهُ اللَّهُ. فَإِذَا انْصَرَفَ رَسُولُنَا وَقَائِدُنَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ عِنْدِكُمْ فَتُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُوجِّهُوا
زِيَادَةً إِلَى مَا تَلْقَوْنَهُ إِلَيْهِ مَعْنَى تَخْيِيرِ وَإِلَيْهِ^(٣) مِنْ

(١) هُوَ قَائِدُ الْحُرُوسِ السَّيْحِيِّ بِتِلْكَسَانَ.

(٢) مَا بَيْنَ مَعْقِلَيْنِ زِيَادَةً مِمَّا لَيْسَتْ لِيَمِ التَّرَكِيبِ

خَدَامِكُمْ وَمِنْ خَوَاصِّ رَجَالِكُمْ فِي مَعْنَى الْعَقْدِ
وَأَحْكَامِهِ وَالصُّلْحِ وَمُحَاوَلَةِ إِبْرَاهِيمَ. فَنَحْنُ نَرْتَقِبُ
أَثَرَهُ وَنَصْرَفُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَنَاءِ وَالرَّعَايَةِ وَالْقَبُولِ
أَوْفَى ذَلِكَ وَأَوْفَرُهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوقِفُ لِمَا
يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيُقَدِّمُ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا قَضَاهُ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ بِحَوْلِ اللَّهِ لَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ.

وَكُتِبَ فِي رَابِعِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ بَلِّ رَبِيعِ
الْآخِرِ الَّذِي مِنْ عَامِ أَحَدٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعٍ [مِائَةٍ].
عَرَفْنَا اللَّهَ تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِعَمَلِهِ وَكَرَمِهِ وَحَوْلِهِ
وَفَضْلِهِ.

صَحَّ فِي التَّارِيخِ.

التحليل

بعد التَّحِيَّةِ والمبالغة كالعادة في التَّجِيلِ والتَّكْرِيمِ
والشُّكْرِ والمدح يُعَلِّمُ السُّلْطَانُ مُوسَى الزَّيَّانِي..... أَنَّهُ
يُولِي مَبْعُوثِيهِ مِنَ التَّجَارِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ مَكَانَةً وَعَنَاءَةً
وَاهْتِمَامًا وَيَقْضِي لَهُمْ دُومًا حَوَائِجَهُمْ وَيُلَبِّي رَغْبَاتَهُمْ
وَيَسْمَحُ لَهُمْ بِتَصْدِيرِ مَا يَرْغَبُونَ فِيهِ مِنْ زَرْعٍ^(١) وَحُبُوبٍ
وغيره إِكْرَامًا لِلْمَلِكِ واحترامًا لِه، وإلى غير ذلك من
الأُمُور الَّتِي يَرْتَكِبُونَهَا وَيَحْظَرُهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ وَيُوسِّعُ
عَلَيْهِمْ فِيهَا وَيَغْضَى الطَّرْفَ عَنْهَا.

إِلَّا أَنَّهُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْقَطْلَانِيَّينَ أَغَارُوا فِي أَجْفَانِ عَلَى
مَرْسَى وَهْرَانَ الْكَبِيرِ وَتَعَمَّدُوا فِي جَرَاءِ هَتَكَ حَرَمَةِ

(١) تصدير الحبوب كان محظراً بالبلدين عامة

السُّلْطَنَة وَحَقَّ الْإِسْلَام. وَاسْتَوْلَوْا عَلَى جَفْن كَانَ مُؤَسَّوًا
زُرْعًا وَبِضَاعٍ أُخْرَى لِتَجَارِ أُنْدَلُسِيِّينَ كَانُوا يَتَأَهَّبُونَ
لِلذَّهَابِ بِهِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْأُخْرَى. وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُمْ لَمْ
يَكْتَفُوا بِالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْجَفْنِ بَمَا فِيهِ فَحَسَبَ بِلَ حَمَلُوا
الزَّرْعَ فِي الْقَرْقُورَةِ Caracca المَعْرُوفَةِ بِالْجَبِي الْقِطْلَانِيِّ
وَتَوَجَّهُوا بِهَا عِنْدَ وَصُولِهِمْ مَبَاشَرَةً إِلَى أَرَاغُونِ بِلَدِ الْمَلِكِ.

وَيُشْرَحُ لَهُ أَنَّ الْأَجْفَانَ الَّتِي تَرِدُ عَلَى تَلْمَسَانَ
أَصْبَحَتْ مَهْدَّةً. لِذَلِكَ وَجَّهَ لَهُ أَحَدُ الْمُقَرَّبِينَ لَدَيْهِ هُوَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَاتِشَلِيُّ ابْنُ الْوَزِيرِ الشَّيْخِ أَبِي الزَّيْبِ
طَلْحَةَ الْبَاتِشَلِيمِي وَحَمَلَهُ مَسَائِلَ سَرِّيَّةً لِيَلْقِيَهَا إِلَيْهِ
وَيَنْظُرَ فِيهَا مَعَهُ، إِلَى جَانِبِ بَنُودِ الصَّلْحِ الَّتِي يَقْتَرِحُ
النَّظَرَ فِيهَا وَالْمُوَافَقَةَ عَلَيْهَا وَإِبْرَامَ الْعَقْدِ الَّتِي يَشْمَلُهَا وَبِهِ
جَمِيعَ مَا يَرْضِيهِ وَيَخْدُمُ قَصْدَهُ.

وَيُعْلَمُ أَنَّهُ لِإِرْضَائِهِ وَإِكْرَامِهِ أَرْسَلَ لَهُ كَذَلِكَ مَعَ
خَفِيرِهِ الْمَذْكُورِ رَسُولًا قِطْلَانِيًّا هُوَ جَوَانُ بَرْمَجَلِينَ
الْقِطْلَانِيِّ قَائِدَ حَرَسِهِ الْقِطْلَانِيِّ الَّتِي كَانَ اقْتَرَحَهُ بِتُرُو
الرَّابِعِ نَفْسَهُ وَيَقْتَرِحُ عَلَيْهِ إِسْرَافًا مِنْ يَشُقُّ فِيهِ مِنْ
رِجَالِهِ لِإِمْضَاءِ عَقْدِ الصَّلْحِ مَعَهُ حَسَبِ الْبَنُودِ الَّتِي
يَقْتَرِحُهَا. وَيُؤَكِّدُ لَهُ أَنَّ هَذَا الرَّسُولَ سَيَلْقَى التَّجْزِيلَ
وَالْإِكْرَامَ وَالْعَنَاءَ وَالرَّعَايَةَ.

- التَّعْلِيقُ -

نَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ جَدْوَى الْقَطْعِ فِي الْعِلَاقَاتِ
الْقِطْلَانِيَّةِ التَّلْمَسَانِيَّةِ وَدَوْرِهِ فِي إِخْضَاعِ الْعَدُوِّ أَوْ الطَّرْفِ
الْآخَرِ. وَمَا يَجْعَلُهُ يَقْبَلُ اشْتِرَاءَ السَّلَامِ وَالصَّلْحِ تَجَنُّبًا
لِلْحَرْبِ وَمَحَافَظَةً عَلَى الْأَمْنِ الَّتِي تَحْتَاجُهُ الْعِلَاقَاتُ
التَّجَارِيَّةُ.

- التقديم

هذا الكتاب بتاريخ 23 صفر الخير من سنة 764 هـ الموافق لـ 11 ديسمبر من سنة 1362م وجهه موسى بن أبي يعقوب من تلمسان بعد أن استرجعها بنو عبد الواد وركزوا فيها ملكهم الزياني من جديد إثر هلاك الخليفة المريني السلطان أبي الحسن وشورة ابنه أبي عنان عليه وهو بإفريقية، ثم توليه العهد برضاه وبعد عفو عنه وهو في حالة مرض. وقد عاد من إفريقية بعد ثورة القيروان فبجاية وتلمسان عليه. وقد كان بسط نفوذه على كامل بلدان المغرب أكثر من عشرين سنة، توحدت فيها الأندلس وكل البلاد المغاربية وتوازن النفوذ الإسلامي مع السلطة النصرانية بقلطنية وإسبانيا وإيطاليا.

ولقد كان بترو الرابع أرسل رسوله "فرانسيس سكوسطة للسلطان الزياني مع كتاب مهين وشروط خاصة بالصلح.

ونرى قيمة الحبوب في هذه العلاقات فأراغون تمنع تصديرها لبلاد الإسلام وتحاول الحصول عليها بثتى الطرق. وهي تلجأ إلى القطع للاستيلاء على الأجفان المحملة حبوبا وزرعا.

وفي الختام تؤكد لنا هذه الرسالة أن ملك أراغون وصل إلى هدفه التمثل في إجبار سلطان تلمسان على طلب الحصول على السلم واشترائها مقابل الذنانير الذهبية أو قبول دفع الإيتاءات من الذبوانة التلمسانية. والملاحظ أن تلمسان رفضت هذه السياسة دائما. وهي نفسها مكرهة على قبول شروط بترو وطلب الصلح للأخطار التي كانت تهددها من قبل الحفصيين والمرينيين والفتن الداخلية ومحاولات بعض الأمراء الزيانيين الاستقلال عنها بمليانة والجزائر مثلا. وهذا الوضع إلى جانب القطع فرض عليها قبول الشروط المقترحة وإمضاء العقد بل المبادرة بالمطالبة به بعد أن كانت رفضته مرّات عديدة.

- نص الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَى. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ مُوسَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْنُ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ أَبِي يَعْقُوبَ ابْنِ
مَوْلَانَا الْأَمِيرِ أَبِي زَيْدِ ابْنِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا
ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَحْيَى يَغْمَرَسِين⁽¹⁾ ابْنِ
زَيْنَانَ أَيْدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَهُ بِمُعُونَتِهِ وَيُسْرِهِ إِلَى
السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْوَجِيهِ الْحَظِي الْمَوْقِرِ الْمُعْظَمِ الْمُبْجَلِ
الْهَيْمَامِ الْبَطَلِ الشَّهِيرِ الْخَطِيرِ سُلْطَانِ أَرَاغُونِ

وَالْمُسَيِّمَةِ وَسَرْدَانِيَّةٍ وَمَيُورْقَةِ وَقُنْتِ⁽¹⁾ بَرْشَلُونَةَ وَقُنْتِ
الرُّسْلُونِ وَقُنْتِ سَرْدَانِيَّةَ دُونِ بِيْطُرُو⁽²⁾ أَسْعَدَهُ اللَّهُ
بِرِضَاهُ وَسَلَكَ بِهِ سَبِيلَ هُدَاهُ وَأَكْرَمَهُ بِتَقْوَاهُ. سَلَامٌ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ هِدَايَةً
تُبَلِّغُكُمْ نَيْلَ الْأَمَلِ وَالْآمَالِ وَعِنَايَةً مِنْ لَدُنْهِ تَصْحَبُكُمْ فِي
كُلِّ الْأَحْوَالِ وَسَعَادَةً تَقْضِي لَكُمْ بِسَعَادَةِ الْعُقَلْبِ⁽³⁾ فِي
وَالْمَالِ، مِنْ خَضِرَتِنَا الْعَلِيَّةِ يَلْفَسَانِ حَرْسَهَا اللَّهُ تَعَالَى.
وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا شَيْءَ كَمِثْلِهِ وَنَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي
أَمْرِنَا كُلِّهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَبْرُؤُ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُسْوَةِ

(1) في الأصل : قسند [كذا].

(2) في الأصل : دون بطروا [كذا]. المقصود لذلك بطرو.

(3) في النسخ الأصلي : العلى [كذا]. والمقصود المعنى وما بين معقنين زيادة
مما يستقيم التركيب.

(1) مؤسس دولة بني هيد الواد بتملمسان. تجدد في الوثيقة الأصلية التي
بالقلاية سلطان مراكش. والصحيح هو سلطان تلمسان.

إِلَيْهِ وَنَسَأَهُ جَلَّ وَعَلا أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَ إِحْسَانِهِ
وَفَضْلِهِ بَيْنَهُ وَطَوْلِهِ. وَلَكُمْ عِنْدَنَا مِنَ الْبِرِّ بِكُمْ
وَالْإِكْرَامِ لَكُمْ وَتَجْدِيدِ الرَّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ قَبْلَكُمْ مَا
يُبَلِّغُكُمْ أَمَلَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَالْأَمْرُ هَذَا
أَرْشَدُكُمْ اللَّهُ لِأَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ وَوَالِي لَكُمْ الْخَيْرَ
الْمُتَتَابِعِ الْمُتَعَابِقِ.

فَإِنَّهُ وَصَلَ كِتَابَكُمْ وَعَقَدَ الصُّلْحَ الَّذِي وَجَّهْتُمْ
إِلَيْنَا صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ الْفَارِسِ الرَّعِيمِ الْأَجْدَّ الْأَنْصَحَ
إِلَيْكُمْ وَهُوَ فَرَنْسِيس [سِقُوسُطَة] ^(١) أَكْرَمَهُ اللَّهُ
بِتَقْوَاهُ وَأَرْشَدَهُ وَهَذَا. وَتَلَا عَقْدَ الصُّلْحِ الَّذِي وَجَّهْتُمْ

(١) فِي الْأَمَلِ فَرَنْسِيسُ قُوسُطَة [كُتِلَا]. وَمَا بَيْنَ مَعْنَيْنِ زِيَادَةِ مَا لَا يَسْتَقِيمُ
الْأَسْمُ الْمَعْنَى.

لَكُمْ صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ. فَإِنَّكُمْ كَتَبْتُمْ فِيهِ ^(١)
وَاسْتَقْرَأْنَا مِنْ لَفْظِهِ وَمَعَانِيهِ مَا لَا يَلِيقُ بِذِي الْمُلْكِ
الرَّفِيعِ الْخَطَرِ الْمَعْلُومِ الْقَدْرِ أَنْ يُخَاطَبَ بِمِثْلِهِ الْمُلُوكُ
الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ الْمَكِينَةُ وَالْمَرْتَبَةُ الْعَلِيَّةُ الْقَوِيَّةُ
الْمُتَيَنُّةُ. وَتَرَى رَسُولَكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمُوهُ عَنْ قَضِيَّةِ سَلَفِ الْمَالِ مِنَّا إِلَيْكُمْ
لِقَضَاءِ مَا رِبَكُمْ وَمَطَالِبِكُمْ فَمَقَامُنَا هَذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
كَفِيلُ بِلُغْوِ أَمَالِكُمْ وَصَلَاحِ أَحْوَالِكُمْ وَالَّذِي عِنْدَنَا
أَيْضًا فِي ذَلِكَ يُلْقِيهِ إِلَيْكُمْ رَسُولُكُمْ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ لَنَا رَسُولُكُمْ عَنْكُمْ مِنْ كَوْنِكُمْ طَلَبْتُمْ

(١) التَّرَكِيبُ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ السُّلْطَانَ يَمَاتِبُ مَلِكَ أَرْمِينِ.

مُعَادَاتِنَا النَّصَارَى^(١) الْفَنَشِيِّينَ، فَرَسُولُكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتَمَّ تَبْيِينٍ حَسْبَمَا أَلْقَيْنَاهُ إِلَيْهِ وَبَيَّنَّاهُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَضِيَّةُ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا أَخَذُوا فِي الْأَجْفَانِ وَخَرَجُوا بِمَرْسَانَا هُنَيْنٍ^(٢) الْمَحْرُوسَةِ حِينَ وَقَعَ بِهِمُ الْقَلْبُ، وَلَجُّوْا إِلَيْنَا بِذَلِكَ السَّبَبِ وَهَرَبَ مِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ. وَتَكَرَّرَ مِنْكُمْ فِي شَأْنِهِمُ الْكَتْبُ وَلَحَحْتُمْ^(٣) فِي الطَّلَبِ. فَحِينَ جَاءَنَا رَسُولُكُمْ الْأَوَّلُ طَالِبًا لَهُمْ خَلِينًا سَبِيلَهُمْ وَسَرَحْنَا^(٤) جَمِيعَهُمْ، عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهَ رَسُولُكُمْ مِنْهُمْ. فَلَمَّا سَرَحْنَاهُمْ وَرَأَوْا أَنَا

(١) هنالك تنافس وعداوة بين يثرو وملاك القشتالة

(٢) في الأصل: هنين [كذا]: حنين

(٣) في الأصل: ولححتهم [كذا]: ألححتهم

(٤) - سرحنا: أطلقنا سراح الأسرى.

صَرَفْنَاهُمْ وَأَخَذْنَا لَهُمُ الْخَيْلَ الَّتِي كُنَّا أَعْطَيْنَاهُمْ، امْتَنَعَ عَنِ الْجَوَازِ أَكْثَرَهُمْ وَاخْتَارُوا الْإِقَامَةَ، وَطَلَبُوا مِنَّا الْخِدْمَةَ الْمُسْتَدَامَةَ. فَإِنَّهُمْ كَانُوا تَحْتَ رَعْيِ وَكَرَامَةِ بَرِضَى مِنْهُمْ وَطِيبِ نَفْسٍ وَاخْتِيَارٍ مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ^(١) فِي ذَلِكَ وَلَا أَضْرَارٍ. فَرَدَدْنَا عَلَيْهِمْ خَيْلَهُمْ وَأَرْجَعْنَاهُمْ إِلَى خِدْمَتِهِمْ وَأَجْرَيْنَا عَلَيْهِمْ مُرْتَبَاتِهِمْ وَزَيْنَاهُمْ^(٢) عَلَى عَادَتِهِمْ. وَأَمَّا الَّذِينَ أَرَادُوا الْجَوَازَ مِنْهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ فِهِمْ تَحَوُّ الثَّلَاثِينَ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَدِيدِهِمْ. فَلَمَّا جَاءُوا عَلَى الْانْفِصَالِ وَأَخَذُوا فِي الرِّحَالِ إِلَّا^(٣) وَبَلَّغْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ

(١) في الأصل: ضرر تلحقهم [كذا].

(٢) في الأصل: زناهم [كذا]. ولعل المقصود أبقينا على عاداتهم وطقوسهم.

(٣) في الأصل: إلا و... [كذا]: إذ.

خُدَامَنَا وَبِلَادِنَا أَخَذُوا مِنْ مَرَاسِينَا هُنَيْنٌ^(١) وَوَهْرَانٌ
وَمُسْتَفَانَمٌ عَلَى جِهَةِ التَّعْدِي وَالْقَهْرِ وَالغَلَبِ
وَالْمُجَاهَرَةِ بِالْفِتْنَةِ وَالْحَرْبِ، بَعْدَ مَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ كَتَبْتُمْ
رِسْمَ الصُّلْحِ الَّذِي بِهِ إِلَيْنَا وَجْهَتُمْ، أَمْسَكْنَا نَحْنُ
عَنْ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا الْجَوَازَ إِلَيَّ هُنَاكَ
حَتَّى تُسَرِّحُوا^(٢) أَنْتُمْ أُولَئِكَ الْمَأْخُودِينَ وَتَضْرِبُوا عَلَى
أَيْدِي الْمُعْتَدِينَ وَالْمُفْسِدِينَ وَتُعَاقِبُوا الظَّالِمِينَ فَإِذَا
سَرَحْتُمْ أُولَئِكُمْ تُسَرِّحُ^(٣) نَحْنُ هَؤُلَاءِ لَكُمْ، عَمَلًا
بِمَقْتَضَى رِسْمِ الصُّلْحِ الَّذِي أَشْهَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِهِ

(١) في الأصل: هنين [كذا] حنين

(٢) سَرَحَ: أطلق سراح الأسرى.

(٣) في الأصل: تسرحوا نحن [كذا].

والتزمتُ العمل بحسبه ووجهتُ رسولكم فرنميس^(١)
بسنبيه.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمُوهُ لَنَا مِنَ الْخَوَاصِ الَّتِي كَانَتْ
أَخَذَتْ لِمَتْيُو مَرَسِيطَ، فَجِئْنَا وَصَلَ الْوَكِيلُ الَّذِي
وَجْهَتْ زَوْجَتُهُ إِلَيَّ هُنَا، [فَقَدْ]^(٢) أَوْقَفْنَاهُ بَيْنَ
أَيْدِينَا وَسَمِعْنَا قَوْلَهُ وَأَحْضَرْنَا خَصْمَهُ لَهُ وَأَمَرْنَاهُ أَنْ
يَصِلَ مَعَهُ إِلَى قَاضِي الْمُسْلِمِينَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
خَصْمِهِ بِالشَّرْعِ وَالْحَقِّ الْوَاضِحِ الْمُسْتَبِينِ. فَإِنَّ الشَّرْعَ
عِنْدَنَا يَنْقَادُ إِلَيْهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالرَّفِيعُ وَالْوَضِيعُ
وَالْفَتْنَى وَالْفَقِيرُ وَسَائِرُ النَّاسِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءٌ^(٣)

(١) في الأصل: فرنميس [كذا]: فرنميس

(٢) ما بين معقنين زيادة مما ليستقيم التركيب.

(٣) في الأصل: سوا [كذا].

يَسْأَلُكَ سَبِيلَ الْهُدَى وَيَطْرَحُ الْهَوَى^(١). فَأَبَى الْوَكِيلُ
مِنْ ذَلِكَ وَامْتَنَعَ مِنْ أَنْ يَقِفَ مَعَ غَرِيبِهِ لِلشَّرْعِ.
وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ. وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِخَضْرَاءِ^(٢)
رَسُولِكُمْ. وَهُوَ يُبَيِّنُ ذَلِكَ لَكُمْ.

وَالَّذِي عِنْدَنَا فِي أَحْوَالِ الصَّلْحِ وَفِي غَيْرِهِ يُلْقِيهِ
إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَسُولُكُمْ وَيَعْرِضُهُ عَلَيْكُمْ بَيْنَ
يَدَيْكُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَهْدِيكُمْ إِلَى سَوَاءِ
السَّبِيلِ إِنَّهُ بِذَلِكَ كَفِيلٌ.

كُتِبَ فِي ثَالِثِ عَشْرِينَ صَفْرَ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ
وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ بِمُوافَقَةِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ دَجَنْبَرِ

(١) في الأصل: الهوى [كذا].

(٢) في الأصل: يحضر [كذا].

عَرَفَ اللَّهُ خَيْرَهَا^(١) بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ. وَقَدْ وَجَّهْنَا لَكُمْ
صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ رَسْمًا مَشْهُودًا مُخَاطَبًا بِعَقْدِ الصَّلْحِ
الْمُبَارَكِ مَعَكُمْ وَصُحْبَةَ رَسُولِكُمْ لِيُوصِلَهُ إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ. بَلْ يَصِلُكُمْ كِتَابُنَا هَذَا وَرَسْمُ الصَّلْحِ الْمُبَارَكِ
الَّذِي [ع] قَدْ نَا وَأَشْهَدُنَا بِهِ عَلَى أَنْفُسِنَا صُحْبَةَ
خَدِيمِنَا الْأَجْدَدِ الْأَنْهَضِ عَلَى الْقَنَاعِ سَلَّمَ اللَّهُ.
فَاصْرِفُوا مَعَهُ رَسْمَ صَلْحِكُمْ وَالْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ
الَّذِينَ ذَكَرْنَاكُمْ لَكُمْ وَتَوَجَّهُوا مِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ خُدَايَكُمْ
وَتَقَاتِكُمْ مَنْ يَقْبِضُ مِنْ هُنَا مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ
أَمْسَكْنَاهُمْ فِي أَوْلِيَّكُمْ، وَيَصِلُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ لَا رَيْبَ سِوَاهُ.

صَحَّ فِي التَّارِيخِ.

(١) في الأصل: طيرهم [كذا كما للعامل]. والأشهر جمع مؤنث. خيرها

- التحليل

تشير هذه الرسالة إلى توتر العلاقة بين بترو الرابع والسلطان الزيماني وإلى غضب ملك أراغون لرفض موسى بن يعقوب السلطان تسريح الأسرى النصارى والاستجابة لشروطه في الرسالة المبعوثة سنة 1360م كما رأينا آنفاً. فوجه إليه رسولا هو منيو مارسات يحمل كتابا للسلطان فيه إهانة له ومساس بكرامته، وقد لاه عليه السلطان موسى وبين له أن مثل هذا التصرف ليس من أخلاق الملوك وشيخهم. يقول له: "فَإِنَّا اسْتَقْرَيْنَا مِنْ لَفْظِهِ وَمَعَانِيهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِأَمْلِكِ الرَّفِيعِ الْمُقَدَّرِ أَنْ يُخَاطَبَ بِمِثْلِهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ الْمَكِينَةُ وَالْمَرْتَبَةُ الْعَلِيَّةُ الْقَوِيَّةُ".

وكان ملك أراغون طلب سلفاً مالية في رسالته هذه لفضاء مآربه وحوائجه، فبين له السلطان أنه مستعد

للاستجابة لطلبه وتمكينه مما يريد على شروط سيشرحها له رسوله. وفي خصوص طلب معاداة تلمسان للنفثيين القشتاليين النصارى فهو يجاريه في الأمر ويعلمه أن رسوله سيشرح له الموقف.

ويتعرض إلى موضوع آخر هام يشير إلى العقلية السائدة عند الطرفين في خصوص الأسرى والقطع، فيذكر له أن النصارى الذين طالب بتسريحهم - وكانوا قد أسروا بعمرى حنين أثناء إغارتهم على المرسى - هم البادئون والعادون، قاموا بالإغارة، فغلبوا وأسروا، فلا يمكن إخلاء سبيلهم وتسريحهم. غير أنه مرضاة للملك واستجابة لتدخلاته المتكررة فقد سمح السلطان لجميعهم بمغادرة البلاد وركوب البحر مع رسول الملك نفسه، فرفض أكثرهم الجواز ومغادرة تلمسان وفضلوا البقاء في خدمة السلطان مع خيلهم ومرتباتهم. ولم يقبل

المفادرة والمجاورة إلا نفر قليل لا يتعدون الثلاثين
 شخصا سمح لهم السلطان بالمفادرة والرجوع إلى بلادهم.
 لكنّ حادثا حدث في مراسي تلمسان وحنين ووهران
 ومستغانم تمثّل في الإغارة عليها وأسر بعض المسلمين
 فتراجع عندئذ السلطان عن سماحه لهم بالمفادرة
 وأمسكهم مطالبا بتطبيق شروط الصلح المبرم، أي أن
 يبادر الملك بإطلاق سراح المسلمين المخطوفين، ويقوم
 السلطان مقابل ذلك بإطلاق سراح هؤلاء الذين كان أفرج
 عنهم.

وطالبه كذلك بأن ينزل عقابه على المغييرين
 والمفسدين ويحترم بذلك رسم الصلح الذي قرّره بنفسه
 والتزم بالعمل به.

وتعرّض في الآخر إلى قضية ماتيو مارات وما كان
 حُجز له من حوائج وحمولة، فبيّن أنّه استمع إليه

بحضور خصمه والوكيل الذي أرسلته زوجته. وعرض
 قضيته على قاضي المسلمين لينظر فيها حسب الشرع،
 فأبى الوكيل أن يمثّل وغريمه أمام القضاء الشرعيّ
 الإسلاميّ. والسلطان يعتبر أنّ الذنب ذنبه لأنّ
 الجميع: الصّغير والكبير، الغنيّ والفقير، الرّفيّع
 والوضيع، متساوون أمام القضاء لدى المسلمين. ويخلص
 السلطان في آخر رسالته إلى موضوع الصّلح وبعض
 المسائل الأخرى. فلقد حمّل الرسول فرانسيس سكّوسطة
 الجواب عليها كي يعرضها عليه مثلما كان تمّ الاتفاق
 عليه. ويُعلم الملك أنّه يُوجّه له نسخة من عقد الصّلح
 ممضاة وعلى الملك أن يمثلي نسخته ويرسلها إلى
 السلطان مع المسلمين الأسرى. إشارة إلى موافقته على
 هذا الصّلح.

- التعليق

نستنتج من هذه الوثيقة الهامة أموراً عديدة توضّح نوع العلاقة القائمة بين سلطان تلمسان وملوك أراغون، وأهداف هؤلاء، وخططهم السياسية الثابتة:

1 - للملوك القطلانيّين المتعاقبين سياسة ثابتة كانت توجّههم في علاقاتهم مع تلمسان تمثلت في السعي الدؤوب للسيطرة على تجارتها والتغلغل في المملكة وابتزاز ما يتوفّر لها من ذهب.

2 - محاولة ملك أراغون الحصول على الأموال من تلمسان بشقّي الطرق، إن لم يكن عن طريق الإيتاءات القمريّة فيكون عن طريق السلفة. وبذلك يسترجعون ما يدفعه التجّار القطلانيّون في الديوانة التلمسانية.

3 - المرواحة بين الشدّة واللين: الحرب والسلم.

القطع والأمن، القرصنة والتجارة وما تدرّه من أرباح. والتّاج الأراغونيّ يميل إلى سياسة التعامل التجاريّ مع القطع للإرهاب في آن واحد.

4 - التجاء الطّرفين إلى القطع وأسّر المسافرين والبحارة للضغط على الطّرف الآخر. ونلاحظ العدد الهامّ جدّاً من الأسرى القطلانيّين بتلمسان.

5 - عدم الحصول على أمن مطلق واطمئنان تامّ حتّى في فترات الصّلاح.

6 - تميّز سلاطين تلمسان بشيء من الصّلابية والثّبات على المواقف في تعاملهم مع ملوك أراغون حتّى في فترات ضعفهم.

7 - تأثير التّنافس بين مختلف الملوك أو السّلاطين على العلاقة القطلانيّة - التلمسانية وعلى مختلف التّحالفات بالمنطقة.

8 - تبدو رسالة ملك أراغون غريبة في لهجتها وطرقها، وكذلك الشروط المقترحة في مثل هذا العقد المختلف تقريبا عن غيره من العقود المعهودة بين الطرفین.

9 - يبدو بترو الرابع مختلفا عن أبيه وجده جاقمو الثالث الذي كان يفضل سياسة اللين والمرونة للوصول إلى أغراضه الامبرالية.

10° - الوثيقة رقم 114

- التقديم

هذه الوثيقة تمثل عقد صلح لمدة خمس سنوات بين أبي حمو موسى بن أبي يعقوب سلطان تلمسان⁽¹⁾ مع بترو الرابع ملك أراغون بتاريخ 29 صفر لسنة 764هـ الموافق لـ 18 ديسمبر من سنة 1362م.

(1) مکتوب فی الوثيقة بالقطلائية سلطان مراكش وهذا خطأ فابو حمو الزياني من بني عبد الواد سلطان تلمسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَى. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

هَذَا كِتَابٌ صَلَحَ أَسَسَتْ قَوَاعِدُهُ وَحِيلَتْ
مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ وَحَبِي بِالنُّجَحِ وَالْإِسْعَادِ وَالنَّظَرِ
الصَّالِحِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ مُنْشَأً⁽¹⁾ وَعَاقِدَةً عَقْدُهُ بَعْدَ
اسْتِخَارَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَاسْتِشْرَافِهِ وَاسْتِغْنَانِهِ
وَاسْتَنْجَادِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْجَلِيلُ الْمَلِكُ الْأَصِيلُ
الشَّهِيرُ الْخَطِيرُ الْكَبِيرُ الرَّفِيعُ الْمُثِيلُ الْمَاجِدُ الْأَثِيلُ
الْأَسْنَى الْهَمَامُ الْأَوْحَدُ الْأَطْوَلُ الْأَصْعَدُ الْأَحْفَلُ
الْأَسْعَدُ الْأَسْمَى الْمُثِيلُ الْأَرْضَى الْخَلِيفَةُ الْعَادِلُ
الطَّاهِرُ الْكَابِلُ الْمَنْصُورُ الْجَيُوشِ وَالْقَبَائِلِ الْفَدُ

(1) في الأصل: منشيء [كذا].

الْجَلَّالُ الْمُؤَيَّدُ الْأَمْضَى الْمُظَفَّرُ الْمُعَانُ الْعَظِيمُ
السُّلْطَانُ الْكَبِيرُ الْجَوِيدُ وَالْإِحْسَانُ الْأَرْوَعُ الْأَعْلَى
أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبُو حُسَيْنٍ
مُوسَى بْنُ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ الْأَوْحَدِ الْأَرْفَعِ الْمَاجِدِ
الْأَعْلَى الْأَصْعَدِ الْهَمَامِ الْحَافِلِ الْمُثِيلِ الْأَرْضَى الْبَظَلُ
الْأَمْضَى الْأَسْعَدُ الْأَسْمَى الْبَاسِلُ الْكَرِيمُ الشَّمَائِلُ⁽¹⁾
الْعُدَّةُ الْفَضَائِلُ⁽²⁾ الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْكَبِيرُ الْحَظِي
الْمُثِيلُ الْمُعْظَمُ الْمُوقِرُ الْمَبْرُورُ الْمُقَدَّسُ أَبِي يَعْقُوبَ ابْنِ
الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ الْأَعَزُّ الْأَرْفَعُ الْأَمْنَعُ الْأَرْقَى الْهَمَامُ
الْبَاسِلُ الْأَمْضَى الْأَوْحَدُ الْأَسْعَدُ الْأَصْعَدُ الْأَرْقَى
الْأَكْبَرُ الْأَشْهَرُ الْأَطْهَرُ الْأَطْفَرُ الْأَسْمَى الْمُعْظَمُ الْمُوقِرُ
الْمُبْجَلُ الْأَحْفَلُ الْأَفْضَلُ الْأَكْمَلُ الْمُقَدَّسُ السَّعِيدُ
الْمَرْحُومُ أَبِي زَيْدٍ ابْنِ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ الرَّفِيعِ الْمَاجِدِ

(1) - في الأصل: الشمايل [كذا].

(2) - في الأصل: الفضائل [كذا].

الكبير الأَرْضَى الأَمْضَى الأَوْحِدَ الخطير الهُمَامُ
البَطْلُ البَاسِلُ الأَرْقَى الشَّهِيرُ المَعْظَمُ الطَّاهِرُ المَوْقَرُ
العَظِيمُ المَأْتَرُ الكَرِيمُ المَفَاخِرُ المَقْدُسُ المَرْحُومُ أَبِي
زَكَرِيَّا، ابْنُ السُّلْطَانِ الجَلِيلِ الأَعْلَى الأَوْحِدِ المِثِيلِ
الأَسْمَى العَامِلُ الفَاضِلُ الأَرْضَى الهُمَامُ الأَرْوَعُ
الأَمْضَى المَلِكُ الطَّاهِرُ الكَامِلُ العَظِيمُ الشَّعَائِلُ البَازِلُ
البَاسِلُ المَأْتَرُ الفَضَائِلُ المُوَيْدُ المَنْصُورُ الطَّاهِرُ مُخَلَّدُ
المَأْتَرِ وَالْمَفَاخِرِ المَعْظَمُ المَوْقَرُ المَقْدُسُ أَبِي يَحْيَى
يَعْمَرُاسِينَ بْنِ زَيْنَانَ أَبْقَاهُمُ اللَّهُ وَعَرَفَهُمْ سَامِي
الْمَرَاتِبِ. وَتَلَكُّهُمْ عَظِيمُ المَفَاخِرِ وَالْمَنَاقِبِ وَمَجْدُهُمْ
الشَّامِخُ الذَّوَانِبُ⁽¹⁾ سَائِرُ⁽²⁾ ذِكْرُهُ فِي المَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ. وَلَا زَالَ مَقَامُهُمُ الأَعْلَى مَخْصُوصًا مِنَ
العَنَافَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِأَرْفَعِ المَنَاصِبِ عَقْدًا لِلسَّلَامِ

(1) - في الأصل: الذوائب [كذا]

(2) في الأصل: سائر [كذا].

وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ المَلِكِ الأَخْفَلِ الأَسْنَى المُبْجَلِ المَعْظَمِ
المَوْقَرِ الكبير الشَّهِيرِ سُلْطَانِ أَرَاغُونِ وَبَلَنْسِيَّةِ
وَمِيُورْقَةِ وَسَرْدَانِيَّةِ وَقُورِسْكَةِ⁽¹⁾ وَقُنْتُ⁽²⁾ بَرَشْلُونَةَ
وَقُنْتُ الرُّسْلِيُونِ وَقُنْتُ سَرْدَانِيَّةَ دُونُ بِيْدَرُو⁽³⁾
أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِرِضَاهِ وَأَرْشَدَهُ إِلَى سُبُلِ خِدَاهِ وَأَكْرَمَهُ
بِتَقْوَاهُ حِينَ وَصَلَهُ أَعْرَهُ اللَّهُ كِتَابَ السُّلْطَانِ دُونُ
بِيْدَرُو المَعْلُومِ. وَرَسُمُ الصُّلْحِ المَخْتُومِ الَّذِي عَلَيْهِ
صُورَةُ شَكْلِهِ المَتَعَاذَةُ المَتَعَارِفَةُ فِي مِثْلِهِ الصَّادِرَةُ
عَنْهُ المَتَكَرِّرَةُ فِيهِ عَلَى يَدِ رُسُولِهِ الفَارِسِ الرُّعِيمِ
فَرَنْبِسِينَ [سَاقُوسَطَةَ]⁽⁴⁾ عَلَى أَنْ تَكُونَ السَّلَامُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُ⁽⁵⁾ لِخَمْسَةِ أَعوَامٍ مُتَوَالِيَةٍ أَوَّلُهَا عَامٌ أَرْبَعَةٌ

(1) المقصود: كورسكة.

(2) في الأصل: قننت [كذا]. وقد تكررت بتلث الكتابة.

(3) في الأصل: بيدرُوا [كذا]. وكذلك لاحقاً. المقصود بترو

(4) في الأصل: فرنسيس قوسطة [كذا].

(5) للمقصود بذلك بين السلطان والملك.

وَسِتَيْنِ وَسَبْعَمِائَةٍ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ الْعَامِ الْمَذْكُورِ
 الْمُرْخُ بِهِ هَذَا الْمَسْطُورُ^(١) الْمُؤَافِقُ مِنَ الشُّهُورِ الْعَجِيبَةِ
 لِشَهْرِ دَجَنْبَرٍ عَرَفْنَا اللَّهَ فِيهِ الْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرِ عَلَى
 جَمِيعِ مَا لِلْإِبَالَةِ^(٢) الْعَلِيَّةِ وَشَمَلَتْهُ دَعْوَتُهُ السَّنِيَّةُ مِنْ
 الْبِلَادِ حَاضِرَهَا وَبَادِيَهَا وَثُغُورَهَا وَمَوَاسِطَهَا
 وَأَطْرَافَهَا، حَرَسَ اللَّهُ جَمِيعَهَا وَعَلَى جَمِيعِ مَا
 لِلسُّلْطَانِ دُونَ بِيَدَرُو^(٣) الْمَذْكُورِ أَيْضًا حَاضِرَهَا
 وَسَوَاحِلَهَا كَثَرَهَا وَقَلَّهَا^(٤) لَا يَتَعَدَّى أَحَدُهُمَا عَلَى
 أَحَدٍ وَلَا أَهْلٌ بَلَدٍ عَلَى بَلَدٍ فِي حَالِي الصَّدْرِ
 وَالْوَرْدِ^(٥) سَلَامًا مُحَافَظًا عَلَيْهِمَا مِنَ الْجَهْتَيْنِ مُحْفُوظًا
 عِنْدَ الْمَلَكَيْنِ وَمِنْ كِبَالِ الْجَانِبَيْنِ. لَا يَلْحَقُ إِحْدَى

(١) المقصود بالمسطور الصلح للكتوب المتفق عليه

(٢) الإيالة: للملكة.

(٣) - أي يترو.

(٤) المقصود: كثرتها وقتها

(٥) الصدر والورد: دخول البضائع وخروجها = التصدير والتوريد

النَّاجِيَتَيْنِ مِنَ الْأُخْرَى مُضْرَّةً فِي أَمْرٍ وَلَا تَعْدُ فِي
 سِرٍّ أَوْ جَهْرٍ. الْبَرُّ وَالْبَحْرُ فِي ذَلِكَ سَيَانٍ. وَالْمَسَافَرَةُ
 فِيهِمَا بِالْأَذَى وَالْمَجَاهَرَةُ مَنُوعَانِ. لَا غَدْرَ فِيهَا وَلَا
 إِحْلَالَ^(١) بِمَعْنَى مَنْ مَعَانِيهَا. وَلَا تُشَنُّ فِي مَدَّةِ
 الْمَصَالِحَةِ الْمَذْكُورَةِ غَارَةً وَلَا تُدْعَرُ سَيَارَةً^(٢). فَإِنْ كَانَ
 مِنْ جِهَةِ النَّصَارَى فَعَلَى السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ تَسْرِيحُ
 الْأَسْرَى وَرَدُّ مَا يَأْخُذُونَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى جِهَةِ
 النُّهْبِ وَالسُّلْبِ أَوْ الْإِنْصَافِ مِنَ الْقِيَمَةِ إِنْ عُدِمَتْ
 الْعَيْنُ وَأَعُوِزَتْ عَلَى الطَّلَبِ. وَكَذَلِكَ مَا يُؤْخَذُ عَلَى
 جِهَةِ الْإِخْلَافِ مِنْ أَمْدِي وَغَيْرِهِ. وَعَلَى مَوْلَانَا
 السُّلْطَانِ أَعِزَّهُ اللَّهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ سَوَاءً. وَأَنْ يُقَابَلَ
 بِالْوَفَاءِ وَفَاءً. هَذَا بَعْدَ أَنْ يَشِيْعَ الْأَمْرُ وَيَعْلَمَ مَنْ أَيْنَ
 كَانَ الضَّرَرُ وَمَنْ هُوَ الْمُتَسَبِّبُ بِالْغَدْرِ أَوْ الشَّرِّ.

(١) في الأصل: إحلال [كذا].

(٢) تدغر سياراة: لعل المقصود: تغمر. والسيارة: القافلة المحملة بالبضائع

وَكُلُّ مَا يَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْعَلِيَّةِ وَيَدْخُلُ
 فِي طَاعَةِ هَذِهِ الْإِمَالَةِ السَّنِيَّةِ بَعْدَ هَذَا الْعَقْدِ الْمُحْكَمِ
 فَدَاخِلٌ تَحْتَ هَذِهِ الْمَصَالِحَةِ وَالسَّلَامِ وَهَذَا الْحُكْمِ.
 وَعَلَى أَنْ التَّجَارِ الْوَاصِلِينَ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ إِلَى
 الْأُخْرَى بِمُتَاجِرِهِمْ أَلَّا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا الْعَشْرُ.
 وَالْمُخَزَّنُ الْمَعْلُومُ فِي سَلَمِهِمْ لَا زَائِدَ فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.
 وَيُحْمَلُونَ فِي إِقَامَتِهِمْ إِذَا حَضَرُوا وَفِي طَرِيقِهِمْ بَرًا
 وَبَحْرًا مَهْمَا وَرَدُوا أَوْ صَدَرُوا عَلَى الْحِفْظِ التَّامِّ
 وَالرَّغْبَى الشَّامِلِ الْعَامِّ. وَعَلَى أَنَّهُ إِنْ انْكَسَرَ جَفْنٌ
 لِمَنْ يَأْتِي مِنَ التَّجَارِ قَاصِدًا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ أَوْ مِنْ
 جِهَتِهِ لِمَرْسَى مِنْ مَرَاسِي مَوْلَانَا أَعَزَّهُ اللَّهُ أَوْ
 مَرَاسِيهِ فَيَرُدُّ عَلَى أَرْبَابِهِ جَمِيعَ مَا كَانَ فِيهِ. وَلَا
 سَبِيلَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ وَلَا اعْتِرَاضَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ
 لِجَفْنِهِمْ وَلَا إِلَيْهِمْ بَلْ يُحْلَى سَبِيلُهُمْ إِلَى أَمْتِنَتِهِمْ
 وَأَمَوَالِهِمْ وَجَفْنِهِمْ وَسَائِرِ سَلَمِهِمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ التَزَّمْ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ، السُّلْطَانُ أَبُو حَمُو
 أَعَزَّهُ اللَّهُ هَذِهِ الشُّرُوطَ وَأَحْكَمَ فِيهَا الْعُقُودَ وَالرُّبُوطَ
 لِيَتَعَقَّدَ عَلَيْهَا الصَّلْحُ الَّذِي تَقَدَّمَتْ الْمِرَاضَةُ فِيهِ
 التَّزَامًا عَلَى الْوَاجِبِ بِمُقْتَضَى كُلِّ مَغْنَى مِنْ
 مَغَانِيهِ. شَهِدَ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو -
 أَعْلَى اللَّهُ مَقَامَهُ وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ بِمَا فِيهِ عَنْهُ - مِنْ
 أَشْهَدَهُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ شَامِلُ ذَاتِهِ وَالسَّعْدُ
 الْمُسْعَدُ مُصَاحِبُ قَصْدِهِ وَأَدَوَاتِهِ وَهُوَ عَلَى أَكْمَلِ
 حَالَاتِ الْإِشْهَادِ. وَذَلِكَ فِي تَاسِعِ عَشْرِينَ صَفَرٍ مِنْ
 عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّعِمَايَةِ بِمُوَافَقَةِ ثَامِنِ عَشَرَ مِنْ
 شَهْرِ دَجْنَبِيرٍ. فِيهِ مُلْحَقٌ ⁽¹⁾ بَيْنَ بَعْضِ أَسْطَرِهِ عَلَى
 يَدِ رَسُولِهِ فَرَنْسِيْس [س-بِقُوسَطَةِ] ⁽²⁾ صَحَّ مِنْهُ وَفِي

(1) فِي الْأَصْلِ: مَلْحَقًا [كُنَّا]

(2) فِي الْأَصْلِ: فَرَنْسِيْس قُوسَطَةِ.

٠ التحليل

هذا العقد الذي كان تحدث عنه السلطان في رسالتين سابقتين للملك بقرى الرابع سنة ١٣٦٥م وسنة ١٣٦١م ووقع التمهيد له مع الرسول فرانسيس سكوسطة يضمن الأمن للجهتين برًا وبحرا. وينص على أنه لا يمكن أن يقع التعرض إلى تجار البلدين أو إلى أجفانهم بسوء، ويتحتم تقديم المساعدة لهم ولأجفانهم عندما يلتجئون إلى أحد مراسي البلدين والبلدان التابعة لهما. كما ينبغي بموجب هذا العقد إرجاع الأجفان والبضائع أو الأسرى الذين يتم التعرض إليهم والقبض عليهم في غارة من الغارات أو مناسبة من المناسبات. ويعمل الطرفان على مساعدة رعايا الملكين في كلا البلدين وعدم إلحاق الأذى بهم.

الإشهاد المذكور على أنه منما أتى جفن من أجفان إحدى الجهتين إلى الأخرى قاصداً إلى مرساخا ملجأ إليها من عدو يطلبه في البحر لقصد الإذابة له والضرر فعلى أهل ذلك المرسى الذي يلجأ إليها إعانتة ورفع الضرر عنه وكف الأيدي العادية عليه وحمايته بكل ما يمكنهم جهد استطاعتهم إن شاء الله وفي تاريخه فشهد بجميعه. شهد . محمد بن أحمد بن علي وعبد الرحمن بن علي لطف بهم بمنه . شهد . ومحمد بن يوسف بن محمد القيسي . شهد . ومحمد بن علي بن أحمد العطبي . أعلم باستقلاله أحمد بن الحسن بن سعيد.



5 - الاكتفاء بالإشارة إلى الأشخاص الذين يكونون بالأجفان عند الإغارة عليهم وتتم مساعدتهم ونجدهم ثم إرجاعهم إلى بلادهم مع أجفانهم.

6 - لم يندد العقد على كراء الأجفان إذ كانت تلمسان قد شيدت حرضا كبيرا بوهران لبناء أجفانها ومراكبها في عهد أبي حمو.

7 - يبدو أن الفتن قد خدمت لضعف الدولة المرينية النسبي في هذه الفترة وعدم مواصلتها في مهاجمة تلمسان بعد أن استرجعها بنو عبد الواد. وتعددت الحروب الأهلية بين المرينيين أنفسهم.

نلاحظ صلاية السلطان الزياتي وثباته على مواقفه حين لا يكون مهددا في الداخل أو من أجواره المسلمين الحفصيين بإفريقية أو المرينيين بفاس ومراكش. فالفتن والحروب الداخلية ومطامع دول المغرب عامة كانت

سببا في إضعاف جانب هذه الدول ونجاح المطامع الامبرالية القطلانية في النيل منها والتغلغل داخلها إذ كلما كان الحكم المركزي قويا وسليعا بتلمسان أو تونس أو فاس أو مراكش كان موقف العدو ضعيفا وعاجزا عن تحقيق أهدافه في السيطرة والهيمنة والابتزاز السياسي والمالي.



فهرس الأعلام

- أبو الحجاج (يوسف بن الأحص): 108-11.
- أبو الحسن (المريني - موحد المغرب): 46-121-123.
- أبو تاشفين (تاشفين - تاشفين الزباني - المقام التاشفيني): 45-48-51-53-54-60-74-80-81.
- أبو عمران (موسى بن الشيخ أبي عنان فارس بن حزين): 99-101.
- أبو عنان (فارس بن حزين): 99-101.
- أبو يوسف (سلطان فاس): 45.
- إبراهيم (الزبي اليهودي): 34-35.
- أراغون (ملك - ملوك - التاج الأراغوني - سلطان): 65-68-69-70-71-76-80-84-85-87-93-94-95-97.
- 98-99-104-110-111-112-114-115-120-131-132.
- 144-148-149-150-162-163.
- أستروش (دون سنير): 34.
- أستوري (مملكة مسيحية): 9-12.
- أفارقة (أفارقة سود): 8.
- ألفونس (التاسع) IX: 34.

- ألفونس (الثالث) III: 34.
- ألفونس (الثامن) VIII: 14.
- ألفونس (الثاني) II: 14.
- ألفونس (الرابع) IV: 35-98-101-115.
- ألفونس (العاش) X: 15.
- ألفونس (Alphonse): 120.
- أميراك (أميرالات البحر): 22.
- أندلسيون: 23-94-124-130.
- أنبير (الملك): 104.
- إسلام (مسلم - مسلمون - حكم إسلامي - دين إسلامي - حضارة إسلامية): 6-7-8-9-12-13-14-15-17-19-35-40-44-45-58-61-95-105-124-129-130.
- 131-133-147.
- إشبيليون: 120.
- إيطاليون (تجار): 27.
- ابن أبي يوسف المريني (علي بن سعيد): 100-101.
- 133.
- ابن الأحمر (الحجاج): 108-111.
- ابن الحوراء (أبو يعقوب يوسف - الحاجب): 101.
- ابن الخطاب (عص): 33.

- المرتزقة (الحرس - الجنود): Mercenaires : 14-15-22-
- 49-50-51-52-53-60.
- المرينية (الدولة): 120-164.
- المرينيون: 10-18-22-45-52-59-60-101-102-114-
- 121-123-132-164.
- المغاربة (المواطن المغاربة): 12-27-28-51-62.
- الموحدون (الخليفة الموحدي - الدولة الموحديّة): 7-11-
- 14-15-18-21-28-29-45-46-51.
- امبرالية (مالية - اقتصادية): Impérialisme : 43-45-
- 59-60-61-62-150-165.
- امنوال جوان Emmanuel : 66.
- ابرخكي (أرنس): Ernst 31.
- بترو (الثالث): 35-43.
- بترو (بيدرو): 122-155-156.
- برايرة (برير - بلاد البربر): 26-29-30-38-44-57.
- برمجلين (جوان القطلاني): 127-130.
- برونال: Braudel 18.
- بلاد الغال: La GAULLE : 8.
- بنو رستم: 29.
- بنو زيان (قبيلة بني زيان): 11-20-45.

- بنو عبد المؤمن: 22.
- بنو عبد الواد (قبيلة): 11.
- بنو عبد الواد: 6-10-20-21-23-28-29-45-59-70-
- 121-123-133-164.
- بنو غانية (قبيلة بني غانية): 11-17.
- بنو مرين: 45.
- تجار (مسلمون - نصاري): 23-25-27-32-34-41-42-
- 50-54-55-57-113-123-124-129-130-148-158-
- 161-162-166.
- جاقمو (الثالث): 150.
- جاقمو (الثاني): 34-35-68-72-76-77-78-79-84-
- 85-87-93-95-96-98-102.
- جاقمو (الغازي): 34-38-42.
- جاقمو (الملك): 64-68-71-77-99-100-101.
- جاقمو (ديمنجايين): 103.
- جاقمو اللقيط (القائد ابن جاقمو الثاني): 53-64-65-
- 68-76-78-79-80-84-85-100-102.
- حرس (مسيحي): 15.
- دوفورك Dufourq : 18-56-76-78-96.
- رجال الكنيسة: 48-51-61-19.

49-51-53-54-56-60-61-127.

- موحدون (خليفة موحدى - دولة موحدية - خلف،
موحدون): 7-11-14-15-18-21-28-29-45-46-48-51.

- ميورقيون (ميورقي): 34-40-52-103-111.

- نبديا (الرئي): 35.

- نجار (دوب): 14.

- نصراني نصرارى - نصرانيون - نصرانية): 7-12-23-

25-33-35-40-41-44-46-49-51-53-64-66-68-

70-78-80-87-93-94-95-96-97-103-107-110-

111-120-138-143-144-145-157-163.

- هنتاة (قبيلة): 11.

- هنري (الأول): Henri 1: 14.

- يغمراسن (أبو حفو موسى بن أبى يعقوب بن أبى

زكريا): 21-71-121-122-134-154.

- يغمراسن (الزياني): 21-71-72-73-78-87-98-99-

122-154.

- يهود (يهودى - جالية يهودية - يهودية): 33-34-35-

36-37-38-39-40-41-42-43.

فهرس البلدان

Index géographique

- (جبال) الأطلس Atlas: 28.

- أراغون (جبال): 8.

- أراغون Aragon: 7-10-14-16-17-18-29-31-32-

35-41-56-57-77-87-130-

- أرزيلا: 15.

- أزمو: 104-116.

- أسفي: 104-116.

- أصيلا (أسيلا): 104.

- أندلس Andalousie: 6-7-9-13-23-47-61-96-

110-116-119-120-133.

- أنفي: 104.

- إسبانيا Espagne: 6-7-9-12-14-18-20-61-

133.

- إفران Ifran: 38.

- إفريقيا (السودا): Afrique (noire): 10-19-22-24-

26-28-29-31-38.

- بلاد البربر : 26-29-30-38.
- بلاد الغال : La Gaulle : 8.
- بلنسية : Valence : 16-17-18-37-38-43-56-73-80-
- 88-99-104-122-135-155.
- بومبيوك : 39.
- بونة (عناية) : Bône : 48.
- بيزا : Pise : 23.
- تازي : Taza : 104.
- تاناس : 24.
- تاهريت : 11-23-29.
- تاونت : 24.
- تفيالنت : 20-21-38-43.
- تلمسان : Tlemcen : 6-7-10-11-16-17-19-20-21-
- 23-24-25-26-28-29-30-31-32-33-34-38-
- 39-40-41-42-43-48-50-51-53-54-55-56-58-
- 59-60-61-64-65-68-69-70-71-72-74-76-77-
- 78-79-84-86-87-89-93-94-96-97-98-101-
- 102-103-103-104-105-110-115-116-119-121-
- 123-130-132-133-135-145-146-148-149-151-
- 162-163-164-165-166.
- تمبوكتو : 39.
- توغرت : 38.
- تونس : Tunis : 24-38-45-47-48-52-56-61-63-
- 77-123-165.
- جبل طارق : Gibraltar : 6-47-111-116-120.
- جربة : 38.
- جزر البليار : Iles Baléares : 18-31-33.
- جنوة : Gênes : 23.
- حنين أو هنين : 24-45-104-116-119-120-138-
- 140-145-146.
- دمشق : Damas : 29.
- رشقون : 24.
- رومة : Rome : 47-49.
- زلاقة : 7-14-21-22.
- ساقي : 28.
- سبتة : Ceuta : 15-16-28-47-104-116.
- سجماسة : Sijilmassa : 10-11-20-21-25-26-28-
- 29-30-38-39-42-43-55-61-77-104-116.
- سرانية (سردانيا) : Sardaigne : 7-17-30-73-80-88-
- 98-104-105-122-135-155.

- بلاد البربر : 26-29-30-38.
- بلاد الغال : La Gaulle : 8.
- بلنسية : Valence : 16-17-18-37-38-43-56-73-80-
- 88-99-104-122-135-155.
- بومبيوك : 39.
- بونة (عناية) : Bône : 48.
- بيزا : Pise : 23.
- تازي : Taza : 104.
- تاناس : 24.
- تاهريت : 11-23-29.
- تاونت : 24.
- تفيالنت : 20-21-38-43.
- تلمسان : Tlemcen : 6-7-10-11-16-17-19-20-21-
- 23-24-25-26-28-29-30-31-32-33-34-38-
- 39-40-41-42-43-48-50-51-53-54-55-56-58-
- 59-60-61-64-65-68-69-70-71-72-74-76-77-
- 78-79-84-86-87-89-93-94-96-97-98-101-
- 102-103-103-104-105-110-115-116-119-121-
- 123-130-132-133-135-145-146-148-149-151-
- 162-163-164-165-166.
- تمبوكتو : 39.
- توغرت : 38.
- تونس : Tunis : 24-38-45-47-48-52-56-61-63-
- 77-123-165.
- جبل طارق : Gibraltar : 6-47-111-116-120.
- جربة : 38.
- جزر البليار : Iles Baléares : 18-31-33.
- جنوة : Gênes : 23.
- حنين أو هنين : 24-45-104-116-119-120-138-
- 140-145-146.
- دمشق : Damas : 29.
- رشقون : 24.
- رومة : Rome : 47-49.
- زلاقة : 7-14-21-22.
- ساقي : 28.
- سبتة : Ceuta : 15-16-28-47-104-116.
- سجماسة : Sijilmassa : 10-11-20-21-25-26-28-
- 29-30-38-39-42-43-55-61-77-104-116.
- سرانية (سردانيا) : Sardaigne : 7-17-30-73-80-88-
- 98-104-105-122-135-155.

المحاضر والمراجع

- أرشيف التاج الأراغوني
- A.C.A. Archives de la couronne d'Aragon
- المراسلة الملكية الدبلوماسية
- A.C.A (C.R.D.): Correspondance royale diplomatique
- الأرشفة التاريخية لـميورقة
- A.H.M: Archives historiques de Majorque (Palma, Majorque)
- السلاوي أبو العباس: الاستقصا [١] لأخبار دول المغرب الأقصى
- ENNAÇIRI: El Istikhsaa
- لوي دو ماس لاتري: معاهدات تخصّ علاقات المسيحيين مع عرب إفريقيا الشمالية في العصر الوسيط باريس 1866
- Mas-Latrie (Louis de): Traités concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen-âge
- بيار فيدال: يهود الرُسلليون - باريس 1888
- Pierre Vidal: Juifs de Roussillon - Paris 1888
- بروندال: البحر الأبيض المتوسط
- Braudel: La Méditerranée
- ليفي بروفانسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية. ج ١. باريس 1950
- Levi Provençal Histoire de l'Espagne Musulmane

- ميورقة Majorque : 7-11-17-18-30-31-35-38-40
- 42-43-47-49-55-56-59-60-78-103-104-106
- 107-110-111-114-122-135-155
- مُرسية Murcie : 17-34-73-80
- نهر الذهب : 30
- نهر النيجر : 8-27
- وجدة : 21
- ورغة : 38
- وهران Oran : 23-24-45-47-104-116-119-121
- 124-129-140-146-164

52	- القائد والقائد الأعلیٰ
55	12 - التّجارة والمعاليم القرقيّة
59	13 - خاتمة عامّة واستنتاجات
63	التّقديم الثّاني: الوثائق والتّحليل والتّعليق
64	1 - وثيقة رقم 88
72	2 - وثيقة رقم 89
79	3 - وثيقة رقم 90
87	4 - وثيقة رقم 91
98	5 - وثيقة رقم 92
103	6 - وثيقة رقم 95
115	7 - وثيقة رقم 96
121	8 - وثيقة رقم 111
133	9 - وثيقة رقم 113
151	10 - وثيقة رقم 114
166	- خاتمة عامّة
167	- الفهارس
168	- فهرس الأعلام
177	- فهرس البلدان
185	- المصادر والمراجع
189	- خريطة



عمر سعيدان



* أستاذ خريج المعهد الصادقي ودار المعلمين العليا سنة 1960.

* باشر التدريس والتفقد والإشراف على تأطير الأساتذة وتكوينهم بدار

المعلمين العليا

* سجل أطروحة دكتوراه دولة حول علاقات الحفصيين باسبانيا القطلانية في القرن الرابع عشر

باشراف الأستاذ شار إيمانويل دوفرك بجامعة باريس السابعة بباريس

له : * دراسة الحفصيين والقطلانيين في عهد جاكمو الثاني ملك أراغون

* علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين في القرنين الأول والثاني من القرن الرابع عشر

* علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان

* علاقات اسبانيا القطلانية بالمغرب

* علاقات القطلانيين بغرناطة وملوك بني الأحمر

* علاقات القطلانيين بمصر والملك فالوون

له : * فراحات حشاد بطل الكفاح الوطني والاجتماعي

* الحركة القومية الوطنية

* حقيل كتابا أدبية تراثية عديدة وله عديد المقالات الأدبية والنقدية

* نظم عديد الندوات الأدبية والفكرية الدولية

* ساهم في كثير من الندوات الفكرية الدولية

له : * مجموعات من القصص الأطفال

له : * تحت الطبع : توطئة ومقدمات

وبصدد الإعداد : * مذكرات مناخيل في النصف الثاني من القرن العشرين

ISBN : 9973-25-089-3

نوفمبر-ديسمبر 2002